علي المرتضى عليه السلام

نقطة باء البسملة

تأليف

السيد عادل العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

عصر الذرّة أو حديث النقطة

ما لَنا ولحديث النقطة في عصر الذرّة؟!

قالوا:

عصرنا الراهن والعالم المتحضّر . في يومنا هذا .، قد شقّ الشعرة وفلق الذرّة، وجمع العلوم في صفحة الحاسوب (ديسك الكومبيوتر)، وجعل ربوع الأرض الرحبة كقرية صغيرة في دنيا الارتباطات، ووصلت التكنولوجيا إلى ذروتها، يكفي البشرية أن يُضغط على زرّ صغير لكي تتلاشى الكرة الأرضية بمن فيها، وأمريكا تخطّط للعالم الثالث لمئة عام، وتريد أن تغزو العالم وتبسط أخطبوطها في كلّ بقاع الأرض، وتسيطر على الشعوب وتسود الدنيا بأسلحتها المخيفة والمدمّرة، والاضطرابات والمظاهرات وتحرّر الشعوب والنهضات الجماهيرية، لا سيما المسلمة في كلّ العالم تملأ الصحف والإذاعات والإعلام العالمي... و و...

وفي مثل هذه الأمواج المتلاطمة، والعالم المتكهرب، والفوضى العالمية، والتقدم الصناعي، وتسخير الفضاء، وحرب النجوم، والألعاب السياسية المحيّرة والمذهلة للعقول، والصراعات والتكالب بأنياب ضارية على الحكم والسلطة والقدرة في كلّ الميادين، السياسية والاقتصادية والثقافية والتسلح العسكري...

وفي مثل هذه الأجواء المحمومة والملغومة، وإذا بكاتب إسلامي من مهد العلم والأدب والقيادة الرشيدة، من حوزة قم العلمية المباركة، يكتب عن نقطة الباء، ويثير ما كان مدفوناً في خزائن الكتب ورفوف المكتبات، وكأنّه جاهلا عمّا يدور حوله، أو يتجاهل بما يجري في بلده أو البلاد الإسلامية، وما يقع في العالم من الحوادث الغريبة والوقائع العجيبة.

فما هذا التأخّر والانحطاط الفكري.

وهل من الضرورة إثارة مثل هذه المواضيع الحساسة، والتي أكل الدهر عليها وشرب؟!

ولكن حجتي وبرهاني في العمل والكتابة، إنّما هو انطلاقاً من النقاط التالية:

أوّلا . قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في نهجه البليغ: «العاقل الذي يضع الأشياء في مواضعها»[(1)].

فمن كان يمثّل الأنبياء في هداية الناس وسعادتهم، ويجذبهم إلى الخير والصلاح والإصلاح، إنّما مقصوده ورسالته الدينية، تحتّم عليه أن يحذو حذوهم، وأن يبذل جهده، ويضحّي بالنفس والنفيس من أجل سعادة الناس وهدايتهم إلى سبيل الله وصراطه المستقيم، لا أن يخترع القنبلة الذرية، أو يصنع الطائرة النفّاثة، أو يشتغل في المصانع وينتج المنتوجات الراقية، أو يتخصّص في أمراض الدماغ والعملية الجراحية المتطوّرة للقلب، أو غير ذلك من الحِرَف والمهن والصناعات. بل لكلّ علم وفنّ رجاله وأصحابه، ومن الحماقة أن نطلب من رجل الدين أن يفكّر في تطوير الحاسوب، أو يخترع صناعة جديدة متطوّرة تواكب الزمن

1- نهج البلاغة، محمد عبده 2: 205، الكلمات القصار: 235.

أو تسبقه، فإنّ العاقل الذي يضع الأشياء في مواضعها، والرجل الديني إنّما رسالته وشغله وهدفه هدف الأنبياء ورسالتهم في إرشاد الناس وقيادتهم إلى وادي السعادة، وسَوقهم إلى شاطىء السلام، وذلك بتهذيب النفوس وزرع الإيمان الراسخ في القلوب، وتربية من يفلق الذرّة بالزهد، وأن يجعل الله بين عينيه، ويلاحظ ربّه السميع البصير في عمله، وأن يكون علمه في خدمة الناس، لا أن يستغلّه الطغاة والجبابرة بتطميعه واستثماره بالمال والجاه والمقام، حتى يؤول أمره إلى أن يصنع القنبلة الذرّية التي تدمّر العالم في ثوان.

فمقصود رجال العلم والدين هو: تهذيب الناس وهدايتهم، وعلاج الأمراض الروحية، الاجتماعية والفردية.

وعلينا أن نحكّم ضمائرنا، ونطلب من كلّ واحد ما يختصّ به، فليس من العقل والانصاف أن نطالب الطبيب بالحلاقة، كما لا نطلب من الحلاّق أن يعالج أمراضنا الجسدية.

نعم، نطلب من كلّ واحد أن يخلص في علمه وعمله، وفنّه ومهنته...

وثانياً . روى شيخنا الكليني (قدس سره) بإسناده، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، قال: «دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) المسجد، فإذا جماعة قد أطافوا برجل، فقال: ما هذا؟ فقيل: علاّمة، فقال: وما العلاّمة؟ فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار العربية، قال: فقال النبي (صلى الله عليه وآله): ذاك علمٌ لا يضرّ مَن جَهلَه، ولا ينفع مَن عَلمه، ثمّ قال النبيّ (صلى الله عليه وآله): إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل»[1].

1- الكافي 1: 32.

من الدلالات الواضحة في هذا الخبر النبويّ الشريف، أنّ العلم النافع في الدنيا والآخرة . بنظر الشارع المقدّس . إنّما هو عبارة عن العلوم الثلاثة التالية:

1 . علم العقائد الصحيحة، المشار إليه في قوله: «آية محكمة»; فإنّ علم الكلام إنّما يستدلّ على صحّته وما جاء فيه من العقائد بالآيات المحكمة والبراهين المستحكمة، ولا يجوز فيها التقليد.

2 . علم الفقه، الذي هو عبارة عن أحكام أفعال المكلّفين من الواجبات والمحرّمات ولواحقهما، وأُشير إليه في قوله: «فريضة عادلة»; فإنّ الفقه مجموعة فرائض تخبر عن المصالح والمفاسد بصيغ الأوامر والنواهي وتوابعهما.

3 . علم الأخلاق، فهو عبارة عن كسب الآداب والسنن، وتخلية النفس والقلب من الصفات الذميمة، وتحليتهما بالأخلاق الطيبة والسنن القائمة، المشار إليها في قوله: «سنّة قائمة» في نفس الإنسان والتي تكون ملكة راسخة في وجوده.

ولمّا كان الإنسان ذا أبعاد ثلاثة: العقل والجسد والروح، فمربّي عقله هو العقائد السليمة، ومربّي الجسد: التكاليف الشرعية، ومعلّم الروح: الأخلاق الحسنة[1].

1- يقول صاحب (جامع السعادات 1: 117) المولى محمد مهدي النراقي: العلم كلّه وإن كان كمالا للنفس وسعادة، إلاّ أنّ فنونه متفاوتة في الشرافة والجمال ووجوب التحصيل وعدمه، فإنّ بعضها، كالطبّ والهندسة والعروض والموسيقى وأمثالها، ممّا ترجع جلّ فائدته إلى الدنيا، ولا يحصل لها مزيد بهجة وسعادة في العقبى، ولذا عدّت من علوم الدنيا دون الآخرة، وربّما وجب تحصيل بعضها كفاية... وما هو علم الآخرة الواجب تحصيله، وأشرف العلوم وأحسنها، هو العلم الإلهي المعرّف لأصول الدين، وعلم الأخلاق المعرّف لمنجيات النفس ومهلكاتها، وعلم الفقه المعرّف لكيفية العبادات والمعاملات، والعلوم التي مقدمات لهذه الثلاثة، كالعربية والمنطق وغيرهما، يتّصف بالحسن ووجوب التحصيل من باب المقدّمة.

وهذه العلوم الثلاثة وإن وجب أخذها إجمالا، إلاّ أنّها في كيفية الأخذ مختلفة. فعلم الأخلاق يجب أخذه عيناً على كلّ أحد، على ما بيّنته الشريعة وأوضحه علماء الأخلاق، وعلم الفقه يجب أخذ بعضه عيناً، إمّا بالدليل أو بالتقليد من مجتهد حيّ، والتارك للطريقين غير معذور، ولذا ورد الحثّ الأكيد على التفقّه في الدين. قال الصادق (عليه السلام): «عليكم بالتفقّه في دين الله ولا تكونوا أعراباً، فإنّه مَن لم يتفقّه في دين الله لم ينظر إليه يوم القيامة ولم يزكّ له عملا». وقال: «ليت السياط على رؤوس أصحابي حتّى يتفقّهوا في الحلال والحرام». وقال (عليه السلام): «إنّ آية الكذّاب أن يخبرك خبر السماء والأرض والمشرق والمغرب، فإذا سألته عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء».

وأمّا أُصول العقائد فيجب أخذها عيناً من الشرع والعقل، وهما متلازمان لا يتخلّف مقتضى أحدهما عن مقتضى الآخر، إذ العقل هو حجّة الله الواجب امتثاله والحاكم العدل الذي تطابق أحكامه الواقع ونفس الأمر، فلا يردّ حكمه، ولولاه لما عرف الشرع، ولذا ورد: (أنّه ما أدّى العبد فرائض الله حتّى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل)، فهما متعاضدان ومتظاهران، وما يحكم به أحدهما يحكم به الآخر أيضاً، وكيف يكون مقتضى الشرع مخالفاً لمقتضى ما هو حجّة قاطعة وأحكامه للواقع مطابقة، فالعقل هو الشرع الباطن والنور الداخل، والشرع هو العقل الظاهر والنور الخارج، وما يتراءى في بعض المواضع من التخالف بينهما، إنّما هو لقصور العقل، أو لعدم ثبوت ما ينسب إلى الشرع منه، فإنّ كلّ عقل ليس تاماً، وكلّما ينسب إلى الشرع ليس ثابتاً منه، فالمناط هو العقل الصحيح وما ثبت قطعاً من الشريعة، وأصحّ العقول وأقواها وأمتنها وأصفاها هو عقل صاحب الوحي، ولذا يدرك بنوريّته ما لا سبيل لأمثال عقولنا إلى دركه، كتفاصيل أحوال نشأة الآخرة، فاللازم في مثله أن نأخذه منه إذعاناً، وإن لم نعرف مأخذه العقلي. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

ثمّ، موضوع علم العقائد هو المبدأ والمعاد وما بينهما من النبوّة والإمامة، والبحث عن أحوال الأئمة الأطهار ومقاماتهم الشامخة وفضلهم ومناقبهم إنّما هو من أُصول الدين وأساسه، فمعرفتهم لازمة وواجبة على كلّ مكلّف، وعلى كلّ مَن يبحث عن الحقيقة ويطلب سعادته ويبغي نجاته في الدارَين ويتطلّع إلى قائد يقتدي به وأُسوة صالحة يتمسّك بها ويهتدي بأقوالها وأفعالها، والقدوة الصالحة والأُسوة الحسنة لكلّ مَن أراد أن يسعد في حياته وينجو بعد مماته هم الأنبياء والأوصياء والأئمة الأطهار ومن يحذو حذوهم من العلماء الصالحين، فقدوتنا هم الأئمة الأبرار من أهل بيت النبي المختار (عليهم السلام)، وبهم يعرف الله كما عرفت النبوّة، ولولا الحجّة لساخت الأرض، ولَضلّ الإنسان وهلك كما ورد في دعاء الغيبة: «اللّهم عرّفني حجّتك، فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني»، وعاقبة أمره أن يموت على الجاهلية، وفي النبوي الشريف: «مَن لم يعرف

إمام زمانه مات ميتة الجاهلية . متّفق عليه عند الفريقين». فمن وظائف العلماء ومسؤولياتهم الدينية، تعريف الناس بأئمة الهدى، وأنّهم القدوة الصالحة والحسنة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وثالثاً . روى شيخنا الكليني (رحمه الله) بإسناده، عن عاصم بن حميد، قال: «سُئل علي بن الحسين (عليه السلام) عن التوحيد؟ فقال: إنّ الله عزّ وجلّ علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون، فأنزل الله تعالى: {قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ} . أي: سورة التوحيد .، والآيات من سورة الحديد إلى قوله: {وَهُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ

الصُّدُورِ}، فمَن رام وراء ذلك فقد هلك»[1].

أجل، مثل هذه الروايات الشريفة تفتح لنا آفاقاً جديدة في العلم الإلهي، وإنّها إخبار بالغيب يدلّ على صدق قائلها، فإنّ عقل الإنسان في آخر الزمان يتكامل، لعدم محدودية العلم والقدرة والحياة; فإنّها من صفات الله الذاتية، فلا بدّ من تكامل البشر حتّى نشاهد في مجالاته الدنيوية، يصنع ما يكاد أن يكون بحكم المستحيل، لا سيما عند القدماء، فإذا كان قساوسة النصارى وكنائس المسيحيين تحاكم جاليلو لاعتقاده بكروية الأرض، فما بالهم لو سمعوا أنّ الإنسان قد صعد إلى القمر، وكيف كان حالهم لو عاينوا الاختراعات الحديثة المدهشة التي لا تصدّق لولا أن نراها بالعين؟!!

فأقوام تعمّقوا في العلوم الدنيوية، ومن العدل الإلهي ولطف الله أن يكون أقوام يتعمّقون في العلوم الأُخروية (علوم العقائد والفقه والأخلاق) التي فيها سعادة الدارين ونجاة الإنسانية من براثن الجهل.

فديتك نفسي وأهلي يا ابن رسول الله، فما أروع كلامك الحقّ الذي يخرج من معادن العلم الإلهي، وخزائن الوحي والرسالة السماوية السمحاء.

«يكون في آخر الزمان أقوام يتعمّقون»، ومن ثمّ أنزل الله سبحانه بلطفه سورة التوحيد من أجلهم.

وليس ذلك في التوحيد وحسب، بل في النبوّة والإمامة كذلك، فإنّ النبوّة خلاصة التوحيد، والإمامة امتداد للنبوّة وخلاصتها، فهناك آيات وروايات نزلت وصدرت لأُولئك الأقوام المتعمّقين...

1- الكافي 1: 91، باب النسبة، الحديث 3.

سيدي، وتصديقاً لمقولتك الإلهية، نرى اليوم أمثال شيخنا الأُستاذ[1] آية الله الشيخ حسن حسن زاده الآملي دام ظلّه يكتب رسالة يذكر فيها واحداً وتسعين وجهاً ومعنىً وبياناً للحديث النبوي الشريف: «مَن عرف نفسه فقد عرف ربّه»[2].

ولا عجب في ذلك، بل وسيأتي أقوام يتعمّقون أكثر فأكثر في المعارف الإلهية والعلوم النبوية والولوية.

وإذا كان للقرآن الكريم سبعون[3] بطناً، كما ورد في الخبر الشريف، فكذلك أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، ولا يكون أتباعهم فقهاء علماء حتى يعرفوا معاريض كلامهم ونكاته ولطائفه ووجوهه وبطونه.

روى شيخنا العلاّمة المجلسي (قدس سره) بإسناده، عن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال: «حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه، ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا، وإنّ الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً، لنا من جميعها المخرج»[4].

فأحاديث النبي الأعظم وعترته الأئمة المعصومين الأطهار (عليهم السلام) مفسّرة للقرآن الكريم، ولها وجوه كثيرة كالقرآن، فبطونها عديدة، ولكلّ بطن بطون،

1- حضرت عنده دام ظلّه سنة 1410 دروس في علم الفلك، فجزاه الله خيراً.

2- الرسالة مذكورة في مجلة (ميراث جاويدان) التابعة لمنظمة الأوقاف في إيران، العدد 4، السنة الأُولى 1373 هـ ش، الصفحة 60.

3- المراد من السبعين هو الكثرة، لا خصوص السبعين.

4- بحار الأنوار 2: 184، الباب 36، إنّ حديثهم صعب مستصعب، وإنّ كلامهم ذو وجوه كثيرة، وفضل التدبّر في أخبارهم (عليهم السلام)، وفيه 116 حديثاً.

وينفتح من كلّ باب ألف باب، ولا يعلمها إلاّ الراسخون في العلم، ولا يُلقّاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم.

فلا بدّ من التعمّق في أحاديث الرسول وأهل بيته الأبرار لاستخراج الكنوز والذخائر من تراثهم المبارك، ومن الله العون والتوفيق والسداد. ثمّ كثرة الروايات في موضوع واحد، لازمها التواتر المعنوي أو الإجمالي، فلا مجال للإشكال حينئذ في سند بعض الروايات، وأنّها ضعيفة السند، بل لما ينقل عشرات الروايات في موضوع ما، فإنّه نقطع إجمالا أنّ واحد منها لا أقلّ صدرت عن المعصوم (عليه السلام)، كما أنّها مطابقة للقرآن الكريم والعقل السليم والفطرة المستقيمة، كما لازمها التواتر المعنوي، فيكون الموضوع حينئذ من الحقّ الحقيق الذي لا ريب فيه هدىً للمتقين، فتدبّر جيداً.

ورابعاً . روى العلاّمة المجلسي عن (الخصال) بإسناده: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إيّاكم والغلوّ فينا. قولوا: إنّا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم»[1].

وقال (عليه السلام): «لا تتجاوزوا بنا العبودية، ثمّ قولوا ما شئتم، ولن تبلغوا».

قوله (عليه السلام): «ولن تبلغوا»، أي بعد ما أثبتم لنا العبودية . بأنّهم عباد الله مكرمون .، فكلّ ما قلتم في وصفنا، كنتم مقصّرين في حقّنا، ولن تبلغوا ما نستحقّه من التوصيف[2].

وقال (عليه السلام): «وإنّما أنا عبد من عبيد الله، لا تسمّونا أرباباً، وقولا . سلمان

1- بحار الأنوار 25: 270.

2- لقد ذكرت تفصيل هذا المعنى في رسالة (جلوة من ولاية أهل البيت (عليهم السلام))، فراجع.

وجندب . في فضلنا ما شئتم فإنّكم لن تبلغوا من فضلنا كنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر»[1].

ومثل هذا الكلام الصريح والنصّ الواضح يدلّ على أنّ الإنسان مهما قال في فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومناقبهم وعلوّ مقاماتهم وشموخ مراتبهم، التي هي دون الخالق وفوق المخلوق، فإنّه لم يبلغ المنتهى، بل ولن يبلغ جزءاً ممّا يستحقّونه . و (لن) كما في اللغة تفيد نفي التأبيد . أي أبداً لا يمكن للبشر أن يبلغ نهاية المطاف، بل ولا معشار العشر.

وما نصل إليه ونبلغه، إنّما هو منهم وإليهم، فمنهم العلم الإلهي، وهم أساس المعارف، وبهم فتح الله وبهم يختم، ولولاهم لما عرفناهم حتى هذه المعرفة الضئيلة، والعلم القليل.

أجل، بالأمس نطق أُناس بجزءٍ من ألف باء معرفة أهل البيت (عليهم السلام)، إلاّ أنّهم اتّهموا من قبل بعض حسّادهم بالغلوّ والكفر، فإنّ العقول آنذاك لم تصل إلى حدّ بلوغها ونضوجها، لتتعمّق في المعارف وكلمات أئمة الحقّ (عليهم السلام) وآيات القرآن الكريم، فكان من يتكلّم أو يكتب في معرفتهم، ليرفع جانباً من الستار ليكشف عن صفحة من جمالهم وكمالهم، سرعان ما كان يلقى بحجر الغلوّ وسهام مروقه عن الدين.

ولكن اليوم أعلامنا الأعاظم، جهابذة الفكر والعلم والسياسة والعرفان، وأساطين الفقه والأُصول والكلام . أمثال السيد الإمام الخميني (قدس سره) . يكتب في تعريف الحقيقة المحمدية والحقيقة العلوية، ويتحدّث عن نقطة باء البسملة.

1- بحار الأنوار 26: 6.

ولن يبلغ القائل مهما تحدّث في عظمة أهل البيت (عليهم السلام) ومقامهم الشامخ ومرتبتهم الرفعية.

إلاّ أنّه إذا لم نتمكّن من سحب وشرب ماء البحار، فلا بدّ أن نغترف منها بمقدار ما يرفع العطش ويروي الظمأ ويشفي الغليل.

وعسى أن أفتح الطريق برسالتي وبضاعتي المزجاة هذه، لأُولئك الذين يتعمّقون، ورُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

خامساً . روى العلاّمة المجلسي في الأربعمائة، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم ممّا ينكرون، ولا تحملوهم على أنفسكم وعلينا، إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو عبد قد امتحن الله قلبه للإيمان»(1).

فأمر الولاية وأحاديث أسرارهم، وحقيقة خلقتهم وبواطنهم، من الصعب المستصعب، الذي لا يتحمّله من الناس، إلاّ من كان مؤمناً حقاً، قد امتحن الله قلبه بالإيمان، ومن الطبيعي أنّ الناس أعداء ما جهلوا، ومن لم يكن مؤمناً، وكان في قلبه مرض، وفي نطفته خلل وشبهة، فإنّه ينكر فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، ويرمي ذاكرها بالزندقة والغلوّ، ويضرب بمثل ما في يديه عرض الجدار، ويتّهم كاتبه بما يحاسب عليه يوم القيامة، فإنّه ما يلفظ من قول إلاّ لديه عتيد رقيب.

وقد أدّبنا الأئمة (عليهم السلام) بآداب القرآن الكريم، فعن مولانا أبي عبد الله الإمام الصادق (عليه السلام): «إنّ الله تبارك وتعالى حصّن عباده بآيتين من كتابه: أن لا يقولوا حتّى يعلموا، ولا يردّوا ما لم يعلموا. إنّ الله تبارك وتعالى يقول:

1- بحار الأنوار 2: 183.

{أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الكِتابِ أنْ لا يَقُولُوا عَلى اللهِ إلاّ الحَقَّ}، وقال: **{بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ}**».

وعن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «أما والله إنّ أحبّ أصحابي إليّ أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا، وإنّ أسوأهم عندي حالا وأمقتهم إليّ الذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنّا فلم يعقله ولم يقبله، إشمأزّ منه وجحده، وكفر بمن دان به، وهو لا يدري لعلّ الحديث من عندنا خرج وإلينا أُسند، فيكون بذلك خارجاً من ولايتنا»[1].

فالحذار الحذار لأُولئك الذين لا يعقلون بعض الحقائق في معرفة الأئمة الأطهار أن ينكروها ويُعادوها.

فعن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لا تكذبوا بحديث آتاكم أحد، فإنّكم لا تدرون لعلّه من الحقّ فتكذّبوا الله فوق عرشه».

بل إنّما نتخلّق بأخلاقهم الحسنة، ونردّ ما تضيق به الصدور، ولا تتحمّله العقول الضعيفة إليهم (عليهم السلام)، فعن سفيان بن السمط، قال: «قلت لأبي عبد الله(عليه السلام): جعلت فداك إنّ الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر فيضيق بذلك صدورنا حتّى نكذّبه، قال: فقال أبو عبد الله (عليه السلام): أليس عنّي يحدّثكم؟ قال: قلت: بلى، قال: فيقول للّيل إنّه نهار، وللنهار إنّه ليل؟ قال: فقلت له: لا، قال: فقال: ردّه إلينا، فإنّك إن كذّبت فإنّما تكذّبنا»[2].

ومن المعلوم أنّ تكذيبهم تكذيب لله فوق عرشه كما مرّ، ويكون كافراً به

1- المصدر: 186.

2- المصدر: 187.

سبحانه. والعياذ بالله. وهو لا يدري ويحسب أنّه يحسن صنعاً، وأنّه يدافع عن العقل وحكومته، وأنّه من الدعاة إلى الحضارة والتمدّن والتحرّر، إلاّ أنّه ضلّ وأضلّ...

وأخيراً وليس بآخر: لقد اشتهر بين الناس أنّ (من صَنّف استُهدِف)، وإنّ الله سبحانه يقول: **{وَخَلَقْناكُمْ أَطْواراً}**، وإنّ أذواق الناس مختلفة، ولولا اختلاف الأذواق لبارت السلع في الأسواق، واختلاف الآراء والأفكار بعدد الناس، وليس كلّ من كتب وصنّف رضي عنه الجميع.

إلاّ أنّي أتقرّب إلى الله في عملي، وإنّما كتبت لآخرتي، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم، ومن الواضح أن يكون حينئذ مدح الناس وقدحهم على حدٍّ سواء، ولكن بكلّ رحابة صدر أتقبّل النقد البنّاء، فغير المعصوم غير معصوم، وإنّ الإنسان قد ابتلي بالنسيان، وإنّه معرّض للخطأ والاشتباه، فأعتذر مقدّماً من هفوة القلم وزلّة القدم، وأسأل الله السداد والرشاد والإخلاص، فعليه أتوكّل وبه أستعين، ومنه التوفيق وإليه أُنيب وإيّاه أعبد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الكائنات مظهراً لأسمائه، والحمد جامعاً لكتابه، والبسملة مفتاحاً لحمده، والنقطة منطلقاً لبسملته.

البسملة: مصدر انتزاعي من قوله تعالى: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، كالحوقلة من: {لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ}.

وممّا تعارف عليه الناس أنّهم في بداية أعمالهم ربما يقرأونها باسم عزيز من أعزّائهم أو كبير من كبرائهم، ليكون ذلك العمل مباركاً متشرّفاً باسمهم، كما يفعلون ذلك في التسمية، فربما يسمّى الولد باسم الوالد أو يكنّى به . كما يستحبّ ذلك . ليحيى ذكر الوالد ولا ينسى، وقد جرى كلام الله في البسملة هذا المجرى فابتدأ كلامه المقدّس باسمه جلّ وعلا، ليكون ما فيه اسمه متعلّقاً به، ويتأدّب عباده بأدبه، فيبدأون باسمه في أفعالهم وأعمالهم، حتّى لا تكون مبتورة ومقطوعة من البركة والخير المستمرّ الثابت، ولا تكون هالكة باطلة; لأنّها باسم الله الذي لا يهلك ولا يزول، فهو السرمدي الأبدي. وكلّ ما ليس لوجهه الكريم فهو هالك وباطل ويكون هباءً منثوراً، وإنّما يبقى الله وما فيه اسم الله.

وفي الخبر المشهور عند الفريقين، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: «كلّ أمر

ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر»، والأبتر هو المنقطع الآخر الذي لا بقاء فيه فهو هالك وزائل لا محالة.

والله: اسم الجلالة علم للذات الواجب الوجود لذاته المستجمع لجميع الصفات الكمالية والجلالية.

وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «الله: معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه، والله هو المستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات».

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «معناه: المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيّته والإحاطة بكيفيّته».

وقال الإمام الكاظم (عليه السلام): «معناه: استولى على ما دقّ وجلّ».

وقال الإمام العسكري (عليه السلام): «هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من كلّ من دونه»[1].

ويقول العلاّمة الطباطبائي في تفسيره القيّم (الميزان): «وأمّا لفظ الجلالة، فالله أصله الإله حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال، وإله من أله الرجل يأله بمعنى عبد، أو من أله الرجل أو وله الرجل أي تحيّر، فهو فِعال . بكسر الفاء . بمعنى المفعول، ككتاب بمعنى المكتوب، سمّي إلهاً لأنّه معبود أو لأنّه ممّا تحيّرت في ذاته العقول، والظاهر أنّه عَلَم بالغلبة، وقد كان مستعملا دائراً في الألسن قبل نزول القرآن يعرفه العرب الجاهلي، كما يشعر به قوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ}[2]،

1- الروايات من ميزان الحكمة 1: 132.

2- سورة الزخرف، الآية 87.

وقوله تعالى: **{فَقالُوا هذا لِلّهِ وَهذا لِشُرَكائِنا}**[1]، وممّا يدلّ على كونه عَلَماً أنّه يوصف بجميع الأسماء الحسنى وسائر أفعاله المأخوذة من تلك الأسماء من غير عكس، فيقال: الله الرحمن الرحيم، ويقال: رحم الله وعلم الله ورزق الله، ولا يقع لفظ الجلالة صفة لشيء منها، ولا يؤخذ منه ما يوصف به شيء منها.

ولمّا كان وجوده سبحانه وهو إله كلّ شيء، يهدي إلى اتّصافه بجميع الصفات الكمالية، كانت الجميع مدلولا عليها به بالالتزام، وصحّ ما قيل: أنّ لفظ الجلالة اسم للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال، وإلاّ فهو عَلَم بالغلبة لم تعمل فيه عناية غير ما يدلّ عليه مادّة إله.

وأمّا الوصفان الرحمن الرحيم: فهما من الرحمة وهي وصف انفعالي وتأثّر خاصّ يلمّ بالقلب عند المشاهدة من يفقد أو يحتاج إلى ما يتمّ به أمره، فيبعث الإنسان إلى تتميم نقصه ورفع حاجته، إلاّ أنّ هذا المعنى يرجع بحسب التحليل إلى الاعطاء والإفاضة لرفع الحاجة، وبهذا المعنى يتّصف سبحانه بالرحمة. والرحمن فعلان صيغة مبالغة تدلّ على الكثرة، والرحيم فعيل صفة مشبّهة تدلّ على الثبات والبقاء، ولذلك ناسب الرحمن أن يدلّ على الرحمة الكثيرة المفاضة على المؤمن والكافر، وهو الرحمة العامة، وعلى هذا المعنى يستعمل كثيراً في القرآن، قال تعالى: **{الرَّحْمنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوى}**[2]، وقال: **{قُلْ مَنْ كانَ في الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدّاً}**[3]، إلى غير ذلك، ولذلك أيضاً ناسب الرحيم أن يدلّ على

1- سورة الأنعام، الآية 136.
2- سورة طه، الآية 5.
3- سورة مريم، الآية 75.

النعمة الدائمة والرحمة الثابتة الباقية التي تفاض على المؤمن كما قال تعالى:

{وَكانَ بِالمُؤْمِنِينَ رَحِيماً}[1]، وقال تعالى: **{إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}**[2] إلى غير ذلك، ولذلك قيل: إنّ الرحمن عام للمؤمن والكافر . في الدنيا .، والرحيم[3] خاص بالمؤمن . في الدنيا والآخرة .»[4].

وقال في معنى الإسم: وأمّا الإسم: فهو اللفظ الدالّ على المسمّى مشتقّ من السمة بمعنى العلامة، أو من السموّ بمعنى الرفعة . والعلوّ[5] .، وكيف كان

1- سورة الأحزاب، الآية 43.
2- سورة التوبة، الآية 117.
3- في النهاية: في أسماء الله تعالى (الرحمن الرحيم): وهما اسمان مشتقّان من الرحمة، مثل ندمان ونديم، وهما من أبنية المبالغة، ورحمان أبلغ من الرحيم، والرحمن خاص لله لا يسمّى به غيره ولا يوصف، والرحيم يوصف به غير الله تعالى، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال: رحمن.

وقيل: الرحمة على قسمين: امتنانية ووجوبية، فالامتنانية هي الرحمة المفيضة للنعم السابقة على العمل، وهي التي وسعت كلّ شيء، وأمّا الوجوبية فهي الموعودة للمتّقين والمحسنين في قوله تعالى: (فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونِ)، (إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)، وهي داخلة في الامتنانية أيضاً; لأنّ الوعد بها على العمل محض المنّة، وتقديم الرحمن على الرحيم من تقديم العامّ على الخاصّ.

4- الميزان 1: 16.

5- الإسم مشتقّ من السموّ بمعنى العلوّ والرفعة عند البصريين، ومن الوسم بمعنى العلامة والدلالة عند الكوفيين، ولكلّ منهما وجه، وقيل: الأنسب بالساحة الأُلوهية هو الأوّل.

وأمّا حذف الألف لفظاً عند دخول الباء فلكونها همزة وصل، وهي لا تثبت في الدرج، وحذفت خطأ لكثرة الاستعمال وأُبدلت منها لطول البسملة، وقيل: إنّما تسقط الألف خطّاً لا لفظاً من البسملة بشرطين:

الأوّل: إذا أُضيف إلى لفظ (الله) ولهذا ثبتت في (باسم ربّك).

والثاني: أن تكون قبلهما الباء، ولمثلهما حذفت في (بسم الله).

فالذي يعرفه منه اللغة هو اللفظ الدالّ، ويستلزم ذلك أن يكون غير المسمّى، وأمّا الاسم بمعنى الذات مأخوذاً بوصف من أوصافه، فهو من الأعيان لا من الألفاظ، وهو مسمّى الاسم بالمعنى الأوّل، كما أنّ لفظ العالم (من أسماء الله تعالى) اسم يدلّ على مسمّاه وهو الذات مأخوذة بوصف العلم، وهو بعينه اسم بالنسبة إلى الذات الذي لا خبر عنه إلاّ بوصف من أوصافه ونعت من نعوته، والسبب في ذلك أنّهم وجدوا لفظ الاسم موضوعاً للدالّ على المسمّى من الألفاظ، ثمّ وجدوا أنّ الأوصاف المأخوذة على وجه تحكي عن الذات وتدلّ عليه حالها حال اللفظ المسمّى بالاسم في أنّها تدلّ على ذوات خارجية، فسمّوا هذه الأوصاف الدالّة على الذوات أيضاً أسماء، فأنتج ذلك أنّ الاسم كما يكون أمراً لفظياً كذلك يكون أمراً عينياً، ثمّ وجدوا أنّ الدالّ على الذات القريب منه هم الاسم بالمعنى الثاني المأخوذ بالتحليل، وأنّ الاسم بالمعنى الأوّل إنّما يدلّ على الذات بواسطته، ولذلك سمّوا الذي بالمعنى الثاني إسماً، والذي بالمعنى الأوّل اسم الاسم، هذا ولكن هذا كلّه أمر أدّى إليه التحليل النظري ولا ينبغي أن يحمل على اللغة، فالاسم بحسب اللغة ما ذكرناه.

وقد شاع النزاع بين المتكلّمين في الصدر الأوّل من الإسلام في أنّ الإسم عين المسمّى أو غيره، وطالت المشاجرات فيه، ولكنّ هذا النوع من المسائل قد اتّضحت اليوم اتّضاحاً يبلغ حدّ الضرورة، ولا يجوز الاشتغال بها بذكر ما قيل

أو ما يقال فيها، والعناية بإبطال ما هو الباطل وإحقاق ما هو الحقّ فيها، فالصفح عن ذلك أولى.

وجاء في جامع الجوامع[1]: أصل الاسم سموٌ، لأنّ جمعه أسماء، وتصغيره سميّ. (الله) أصله (إله) فحذفت الهمزة وعوّض عنها حرف التعريف، ولذلك قيل في النداء: (يا ألله) بقطع الهمزة، كما يقال: (يا إله)، ومعناه أنّه الذي يحقّ له العبادة، وإنّما حقّت له العبادة لقدرته على أُصول النعم، فهذا الاسم مختصّ بالمعبود الحقّ، لا يطلق على غيره، وهو اسم غير صفة; لأنّك تصفه فتقول (إله واحد)، ولا تصف به، فلا تقول: (شيء إله). و (الرحمن) فعلان من رحم، كغضبان. و (الرحيم) فعيل منه كعليم، وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم، ولذلك قيل: الرحمن بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين خاصة، ورووا عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: الرحمن اسم خاصّ بصفة عامة والرحيم اسم عامّ بصفة خاصة. وتعلّقت الباء في (بسم الله) بمحذوف تقديره: بسم الله أقرأ; ليختصّ الله بالابتداء به، كما يقال للمُعرس (باليمن والبركة) بمعنى أعرست، وإنّما قدّر المحذوف متأخّراً; لأنّهم يبتدئون بالأهمّ عندهم، ويدلّ على ذلك قوله: **{بِسْمِ اللهِ مُجْرِيها وَمُرسِيها}**.

وجاء في مجد البيان في تفسير القرآن[2]: وأمّا (الله)، ففي الرواية السابقة بطرقها (والله إله كلّ شيء). وفي التوحيد عن الإمام العسكري (عليه السلام)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنّ رجلا قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن

1- جامع الجوامع 1: 15.

2- مجد البيان في تفسير القرآن: 228، بحث حول لفظة الجلالة.

{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، ما معناه؟ فقال: إنّ قولك (الله) أعظم اسم من أسماء الله عزّ وجلّ، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمّى به غير الله، ولم يتسمّ به مخلوق. فقال الرجل: فما تفسير قوله (الله)؟ قال (عليه السلام): هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الأسباب من كلّ مَن سواه. ثمّ قال: وذلك أنّ كلّ مترئّس في هذه الدنيا ومتعظّم فيها، وإن عظم غنائه وطغيانه، وكثرت حوائج مَن دونه إليه، فإنّهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها، فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته، حتّى إذا كفي همّه عاد إلى شركه، أما تسمع الله عزّ وجلّ يقول: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ وَتَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ}.

وفيه أيضاً في حديث، أنّه قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الله، معناه: المعبود الذي يأله فيه الخلق، ويؤله إليه، والله هو المستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات».

ثمّ قال: قال الباقر (عليه السلام): «الله، معناه: المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيّته والإحاطة بكيفيته، ويقول العرب: أله الرجل; إذا تحيّر في الشيء فلم يحط به علماً، ووله: إذا فزع إلى شيء ممّا يحذره ويخافه، والإله هو المستور عن حواسّ الخلق».

وفي مجمع البحرين: أنّ في الحديث: «الله، معنى يدلّ بهذه الأسماء، وكلّها غيره».

وفي التوحيد، بإسناده، عن الصادق (عليه السلام): «الله مشتقّ عن أله، وإله يقتضي مألوهاً».

وفي خطبة الرضا (عليه السلام): «له معنى الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهية

إذ لا مألوه».

ثمّ يقول في اشتقاق كلمة الجلالة وعلميتها وأنّ أصلها ما هو؟: إعلم أنّه لا خلاف في أنّ الألف واللام في لفظ الجلالة حرف تعريف في الأصل لا من أصل الكلمة، كما مرّ على ما صرّح به بعضهم، وذهب الأكثر إلى أنّ أصله (الإلاه). وجوّز سيبويه أن يكون أصله لاهاً من لاه يليه: تستّر واحتجب، وقيل: بمعنى ارتفع، ويبعده كثرة دوران إله في الكلام، واستعمال إله في المعبود، وإطلاقه على الله، فهو حينئذ كلفظ الناس حيث أنّ أصله (الأناس) فحذف منه الهمزة وعوّض منه الألف واللام، كما عن أبي علي النحوي، أو من دون تعويض كما ذكره غيره.

والإله مشتقّ من أله ـ بالفتح ـ إلاهة، أي: عبد عبادةً، على ما ذكره الجوهري ووافقه جماعة.

وعن المصباح: أله يأله . من باب تعب . إلهة، بمعنى عبد عبادة، وتألّه تعبّد، والإلاه المعبود، وهو الله سبحانه ثمّ استعاره المشركون لما عبد من دونه.

وأجود منه ما ذكره الجوهري من تعليل تسمية الأصنام بالآلهة، باعتقادهم أنّ العبادة تحقّ لها، وأسمائهم تتبع اعتقاداتهم، لا ما عليه الشيء في نفسه.

قيل: اتّفق القائلون بالاشتقاق على اشتقاقه ممّا ذكر، وأنّه اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كلّ معبود بحقّ أو باطل، ثمّ غلب على المعبود بحقّ، كما أنّ النجم اسم لكلّ كوكب ثمّ غلب على الثريا. وكذا السنة على عام القحط، والبيت على الكعبة، والكتاب على كتاب سيبويه. وأمّا الله بحذف الهمزة فمختصّ بالمعبود وبالحقّ، لم يطلق على غيره، انتهى.

وقيل: (من أله . بالكسر .، أي: تحيّر). وذكر الجوهري أنّ أصله الوله،

وردّ بمخالفته لكثير من كلام أهل اللغة، والمناسبة ظاهر، إذ تحيّرت الأوهام وغمضت مداخل الفكر وعجزت العقول عن إدراكه.

وقيل: (من ألهت إلى فلان، أي: سكنت إليه). فالنفوس لا تسكن إلاّ إليه، والعقول لا تقف إلاّ لديه، **{أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}**[1].

وقيل: (من الوله، وهو ذهاب العقل، سواء فيه الواصلون إلى ساحل بحر العرفان، والواقفون في ظلمات الجهالة وتيه الخذلان).

وقيل: (من أله الفصيل، إذا أولع بأمّه; لأنّ العبادة تتضرّع إليه في البليّات).

وعن الخليل ومتابعيه وأكثر الأُصوليين والفقهاء من العامة، أنّ: اسم الجلالة ليس بمشتقّ، واسم علم له سبحانه، واحتجّ لذلك بأنّه: لو كان مشتقّاً لكان معناه كلّياً لا يمنع نفس تصوّره عن وقوع الشركة فيه، فلا يكون (إلاّ الله) موجباً للتوحيد المحض، وبأنّ: الترتيب العقلي ذكر الذات ثمّ نعته بالصفات، وإنّا نقول: الله الرحمن الرحيم العالم القادر، ولا نقول العكس، فدلّ على أنّه اسم علم، وبأنّه لو كان صفة وسائر أسمائه صفات لم يكن للباري تعالى اسم، ولم يبق العرب شيئاً من الأشياء إلاّ سمّته، فكيف لم تسمّ خالق الأشياء ومبدعها، فهذا محال.

أقول: يظهر لي في المقام أنّ الإله الذي هو الأصل في (الله) على ما عرفت وصرّح به في الرواية المتقدّمة، ويظهر من سائر الروايات أيضاً هو: فعال بمعنى مفعول، كالكتاب بمعنى المكتوب، من أله بمعنى عبد، كما صرّح به جماعة، وأصل العبودية الخضوع والذلّ، كما صرّح به الجوهري، وربما فسّر بغاية التذلّل، ولعلّه لانصراف اللفظ إلى الفرد الكامل، فيكون الإله هو: المعبود الذي لأجله

1- سورة الرعد، الآية 28.

يقع الخضوع والتذلّل الكامل، انتهى كلامه رفع الله مقامه.

ثمّ يذكر المصنّف القدير مطالب قيّمة وثقيلة ملؤها العلم والمعرفة في هذا الباب، لولا الخوف من الإطالة لتعرّضت إليها، إلاّ أنّ المقصود الاختصار، وغير هذا فأُوصي القرّاء الكرام بمطالعة هذا التفسير القيّم، ومن الله التوفيق.

ثمّ يقول تحت عنوان: (في حقيقة العبودية، وأنّ كلمة الجلالة مستجمع لجميع الصفات الكمالية): ثمّ إنّ التذلّل والخضوع لمعبوده لذاته وصفاته، فيكون المعبود مستحقّاً للخضوع له بذاته وصفاته، والعبد مستحقاً للاتصاف به لذاته، وهذا حقيقة العبادة، فإذا عرف ذاته بخواصّ الامكان ونقصانه، وعرف الحقّ باستجماعه لجميع الصفات الكمالية، انبعث له حال الخضوع قلباً، والطاعة له جوارحاً، وبهذه الملاحظة فالله هو الذات المستجمعة لجميع الصفات الكمالية، إذ لو فقد منها شيئاً لم يكن معبوداً بقول مطلق. ومن جملتها أن يكون مرتفعاً عن الخلق وعن مبلغ مداركهم، بحيث يحتجب عنها بغير حجاب، ومستوراً عن درك الأبصار، ومحجوباً عن الأوهام والخطرات، فيأله الخلق عن إدراك حقيقته، فيناسب جملة من مبادي الاشتقاق السابقة، ويوافق جملة من الروايات المتقدمة، . ثمّ يذكر المصنّف وجه ذلك ومطالب أُخرى: ثمّ يقول قدّس سرّه الشريف .: ومن هنا يتبين وجه التعميم في الحاجة والمحتاج في الرواية الأُولى، وتفصيله بإثبات انحصاره فيه سبحانه، وأنّ مَن سواه لا يقدر على الكلّ وإن قدر على بعض، بل هو محتاج أيضاً، والمعبود في كلّ جهة لا بدّ وأن يكون غنياً من كلّ جهة; إذ عبادة المحتاج للمحتاج سفاهة، وهذا بحسب ظاهر النظر، وإلاّ فالمحتاج إليه عند العارف ليس إلاّ الحقّ سبحانه، وهو من دونهم وليّ الإعطاء والمنع، وجميع ما سواه يلتجأ به، إمّا دائماً كالعارف، وإمّا عند الحاجة كالمؤمنين،

وإمّا عند الاضطرار كالكفّار، كما يشهد له الآية والرواية، وما رواه في التوحيد بعد ما قدّمناه في صدر ترجمة البسملة قال: (وهو ما قال رجل للصادق (عليه السلام): يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، دلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني. فقال له: يا عبد الله، هل ركبت سفينة قطّ؟ قال: نعم. قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم. قال: فهل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: نعم. قال الصادق (عليه السلام): فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث).

والظاهر أنّ السبب في ذلك رجوع الكافر حال اضطراره إلى نظرته المحجوبة، وظهور تلك المعرفة وفعليته.

ولا يخفى عليك أنّ الالتجاء والاستغاثة والسؤال والفزع كلّها من شؤون العبودية والخضوع والتذلّل، بل هي تذلّلات وخضوعات حالية، كما أنّ الاطاعة بالجوارح عبودية، بل أغلب النفوس لا تخضع ولا تتذلّل إلاّ عند الحاجة **{إِنَّ الإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى}**.

فالعبودية أصلها الخضوع والتذلّل، ولها أغصان وفروع وآثار يصحّ إطلاق العبودية على كلّ منها أيضاً. ألا ترى أنّ السجدة عبادة جوارحية، ولها معنىً قلبيّ هو السجدة القلبية؟

وبما فصّلنا يتّضح أنّ الله هو أعظم اسم من أسماء الله سبحانه، الحاكية عن صفات الذات وصفات الأفعال في مقام الظهور، باعتبار دلالته على المعبودية المطلقة المشتملة على جميع شؤونها من صفات الذات وصفات الأفعال، والعبودية مساوقة لعالم الإمكان، وكلّ حادث عبد **{إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ**

إلاّ أتى الرَّحْمنَ عَبْداً}، والعبودية وجهة العبد إلى سيّده، والعابد إلى معبوده، والرابطة والوسيلة، والله سبحانه معبود بذاته وصفاته وأفعاله وآثاره، ولو أغمض النظر عن واحد منها لم يكن معبوداً مطلقاً، فلو خرج عن مدلول كلمة الجلالة اسم من أسمائه الظاهرة لم يكن باعتباره معبوداً، فخرج مظاهر ذلك الاسم عن دائرة العبودية من حيث كونها مظاهر له، والمعبود المطلق مَن كان كاملا في ذاته وصفاته، باستجماعه جميع الصفات الجمالية والكمالية، الذاتية والفعلية، مرجواً عند كلّ ما يرجى، مخوفاً عند كلّ ما يخاف، مستحقاً للمحبوبية بجميع الوجوه والحيثيات، وللحياء منه بجميع الشؤون الموجبة لاستحقاق الحياء منه، متوحّداً في جميع ذلك، لا يشاركه في شيء منها غيره. فمدلول هذه الكلمة (الله) شاملة لمدلول كلّ اسم من الأسماء الظاهرة، فهو أعظم منها وأعمّ.

ومن هنا يتبيّن أنّه المقدّم عليها معنىً، فهو المستحقّ للتقديم لفظاً يوصف بها، ولا يجري وصفاً لشيء منها.

ثمّ يقول (قدس سره): وممّا ذكرنا ظهر فساد الاستدلال على أنّه اسم للذات، فيذكر وجه ذلك. وممّا فصّلنا ظهر اندراج سائر الاحتمالات في المشتقّ منه تحت ما ذكرنا، على وجه يظهر للمتأمّل فيما ذكر، فلا نطيل ببيانها، ووجه الجمع بين الأخبار الواردة في ذلك، وانطباقها على القواعد اللفظية، فلا تغفل.

ثمّ له بحث قيّم حول تفسير كلمة الجلالة باعتبار حروفها، مبتدأ بقوله: وأمّا شرح الكلمة باعتبار حروفه، ففي التوحيد، بإسناده، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، بعد السؤال عن تفسير (الله) في ضمن تفسير البسملة، قال: الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا، واللام إلزام الله خلقه ولايتنا، قلت: فالهاء؟ قال: هوانٌ لمن خالف محمّداً وآل محمد صلوات الله عليهم، الحديث. ولعلّه أسقط منه

الصفحة 29

الألف واللام لخروجهما عن جوهر الكلام، أو أخذ اللام المشدّدة واحدة وأسقط الألف المتأخّرة عنه... ثمّ له بحث حول كلمتي الرحمن الرحيم مفصّلا، وأنّ مرتبة الرحمة متأخّرة عن مرتبة الألُوهية، وأنّ الرحمن اسم خاصّ لصفة عامة، والرحيم اسم عام لصفة خاصة، وغير ذلك من المباحث النافعة والمفيدة، فراجع.

من معالم سورة الحمد

سورة الحمد تسمّى بالسبع المثاني، قال الله تعالى: **{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي وَالقُرْآنَ العَظِيم}**[1]، باعتبار آياتها سبعة مع البسملة، وأنّها نزلت مرّتين فهي مكّية نزلت عند وجوب الفريضة، ومدنية نزلت عند تحوّل القبلة من البيت المقدّس إلى الكعبة المشرّفة[2].

والروايات الواردة عن الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) في فضائلها وخواصّها أكثر منها في غيرها من السور القرآنية.

روى الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كتابه (معاني الأخبار)، بإسناده، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): مَنَّ عليّ ربّي وقال لي: يا محمد، أرسلتك إلى كلّ أحمر وأسود، ونصرتك بالرعب، وأحللت لك الغنيمة، وأعطيتك لك ولأمّتك كنزاً من كنوز عرشي: فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): لو قرأت الحمد على ميّت سبعين مرّة ثمّ ردّت

1- سورة الحجر، الآية 75.

2- تفسير البصائر 1: 11 و 25. وقد ثبت في الأخبار: أنّ السبع المثاني هي سورة الحمد، ومعنى المثاني: أنّها تثنى وتعاد في كلّ صلاة تقرأ فيها، وجاء في تفسير الكاشف (1: 31): اختلفوا في مكان نزولها فقيل: في مكة المكرمة، وقيل: بل في المدينة، وقال ثالث: نزلت مرّتين، في مكة أوّلا وفي المدينة ثانية تأكيداً لأهميتها ومبالغة في تشريفها، وأكثر المفسرين على أنّها نزلت في مكة. وهذا خلاف عقيم لا فائدة له، لأنّ هذه السورة الكريمة لا تحتوي على آية يختلف معناها باختلاف النزول.

الروح، ما كان عجباً.

وفي جامع الأخبار للشيخ الصدوق، بإسناده، عن رسول الله، أنّه قال: مَن قرأ فاتحة الكتاب اعطاه الله بعدد كلّ آية نزلت من السماء فيجزى بها ثوابها.

وروى البخاري، عن أبي سعيد بن المعلّى، قال: كنت أُصلّي، فدعاني النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فلم أُجبه، ثمّ قلت: يا رسول الله، إنّي كنت أُصلّي. قال: ألم يقل الله **{اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلْرَسُولِ إذا دَعاكُمْ}**[1]، ثمّ قال: ألا أُعلّمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلمّا أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله، إنّك قلت: ألا أُعلّمك أعظم سورة في القرآن؟ قال: الحمد لله ربّ العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيته.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): اسم الله الأعظم مقطّع في أُمّ الكتاب.

فسورة الحمد تسمّى بأُمّ الكتاب[2]; لوجوه، أشهرها: إنّها جامعة لأُصول وأهداف القرآن الكريم ومقاصده المقدّسة، فتضمّ رؤوس المطالب والمعارف، والعرب يسمّون ما يجمع أشياء متعدّدة (أُمّاً)، كما يسمّون الجلدة الجامعة للدماغ

1- سورة الأنفال، الآية 24.

2- لسورة الحمد أسماء بلغت (25) اسماً، أشهرها: 1 . الفاتحة; لأنّها أوّل سورة في كتابة المصاحف ولوجوب قراءتها في أوّل الصلاة. 2 . الحمد; لأنّه أوّل لفظها. 3 . أُمّ الكتاب وأُمّ القرآن; لأنّها متقدمة على غيرها من السور ولو كتابة تقدّم الأمّ على أبنائها، ولأنّها اشتملت على أصلين: ذكر الربوبية والعبودية، وعليهما ترتكز تعاليم القرآن. 4 . السبع المثاني; لأنّها سبع آيات وبقراءتها يثنى في الصلاة، أو لأنّها جمعت بين ذكر الربوبية والعبودية. ومهما يكن فإنّ التسمية تصحّ لأدنى شبه. (الكاشف 1: 32).

(أمّ الرأس). ففي الفاتحة إجمال ما فصّل في الكتاب المجيد، فكان الكتاب نشأ من هذه السورة بالتفصيل بعد الاجمال، كما سمّيت مكة المكرمة بأُمّ القرى; لأنّ الأرض دحيت منها.

كما إنّ الأُمّ بمعنى المقصود وما يقصده الإنسان، فأَمَّهُ أي: قَصَدَه. وفي هذه السورة مقصود الكتاب، وهي أوّل سورة يفتتح بها، فهي أصل الكتاب ومن ثمّ تضاف إليه، ويقال: فاتحة الكتاب.

فكلّ ما جاء في القرآن الكريم إنّما هو في سورة الحمد، فإنّها براعة استهلال رائعة للقرآن الكريم، فهي تحتوي على أُصول الدين وفروعه، فالحمد لله: إنّما يدلّ على إثبات الصانع، وربّ العالمين: على صفاته. والرحمن الرحيم: على عدله، ومالك يوم الدين: على إثبات المعاد، والصراط المستقيم: على السعادة الدنيوية والأُخروية من الأعمال الصالحة والعبادات الصحيحة، وأنعمت عليهم: يدلّ على النبوّة والإمامة; فإنّ الله أنعم على الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين، وغير المغضوب عليهم ولا الضالّين: إنّما يدلاّن على المنحرفين وأصل الضلال والغضب والشقاوة في الدنيا والآخرة، وإشارة إلى قصص الأنبياء وأُممهم السالفة.

ففي السورة تقرير الحمد لله عزّ وجلّ وربوبيته للعالمين، فالإله الذي يؤمن به المسلمون إله واحد لا شريك له هو ربّ العالمين، ويجب عليهم حمده والثناء عليه، فإنّه الرحمن في الدنيا للمؤمن والكافر، فساواهما في الرزق والهداية والرحمة العامة، وجعل الإنسان مختاراً، فإمّا شاكراً وإمّا كفوراً، ثمّ خصّ رحمته بالمؤمنين الذين استجابوا لله ولرسوله **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْء فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُون}**[1]، وفي

1- سورة الأعراف، الآية 156.

السورة تعليم وتربية للإنسان أنّه إنّما يعبد الله وحده ويستعين به لا بغيره **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين}**، فقلب المؤمن يكون حرم الله وعرشه، فيدعو الله أن يهديه الطريق القويم والصراط المستقيم، وذلك صراط الذين أنعم الله عليهم من أنبيائه وأوليائه، كما يدعو أن يقيه عن الضلال وطريق المغضوب عليهم، فلكلّ واحد في الحياة طريقان: طريق الهداية وطريق الضلال، سبيل الحقّ وسبيل الباطل، طريق النور والجنّة، وطريق الظلمة والنار.

روى الشيخ الصدوق في (عيون الأخبار) و (علل الشرائع) بإسناده، عن الفضل بن شاذان، عن الإمام الرضا (عليه السلام)، أنّه قال: فلِمَ أُمروا بالقراءة في الصلاة؟ لئلاّ يكون القرآن مهجوراً مضيّعاً، وليكون محفوظاً مدروساً، فلا يضمحلّ ولا يجهل. فإن قال: فلِمَ بدىء بالحمد في كلّ قراءة دون سائر السور؟ قيل: لأنّه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد.

وذلك أنّ قوله: {الحَمْدُ لِلهِ} إنّما هو أداء لما أوجب الله تعالى على خلقه من الشكر، وشكر لما وفّق عبده للخير.

{رَبِّ العالَمِين}: تمجيد له وتحميد وإقرار بأنّه هو الخالق المالك لا غيره.

{الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}: استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه.

{مالِكِ يَوْمِ الدِّين}: إقرار بالبعث والحساب والمجازاة وإيجاب له ملك الآخرة كما أوجب له ملك الدنيا.

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}: رغبة وتقرّب إلى الله عزّ وجلّ وإخلاص بالعمل له دون غيره.

{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}: استزادة من توفيقه وعبادته واستدامة لما أنعم عليه

ونصره.

{إِهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيم}: استرشاد به واعتصام بحبله واستزادة في المعرفة بربّه وبعظمته وبكبريائه.

{صِراطَ الذِّينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}: توكيد في السؤال والرغبة، وذكر لما تقدّم من نعمه على أوليائه، ورغبة في مثل تلك النِعَم.

{غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}: استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفّين به وبأمره ونهيه.

{وَلا الضّالِّينَ}: اعتصام من أن يكون من الضالّين الذين ضلّوا عن سبيله من غير معرفة وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً. فقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة في أمر الآخرة والدنيا ما لا يجمعه شيء من الأشياء.

وروى شيخنا الصدوق عليه الرحمة في (عيون الأخبار) و (الأمالي)، بإسناده، عن يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن سيار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله تبارك وتعالى: قسّمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، إذا قال العبد: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، قال الله جلّ جلاله: بدأ عبدي باسمي وحقّ عليّ أن أتمّم له أموره وأبارك له في أحواله. فإذا قال: {الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِين}، قال الله جلّ جلاله: حمدني عبدي وعلم أنّ النعمة التي له من عندي وأنّ البلايا التي إن دفعت عنه فبسطوتي، أُشهدكم أنّي أُضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأرفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا، فإذا قال: {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، قال الله جلّ

جلاله: شهد لي بأنّي الرحمن الرحيم، أُشهدكم لأُوفّرنّ من رحمتي حظّه، ولأجزلنّ من عطائي نصيبه.

فإذا قال: {مالِكِ يَوْمِ الدِّين}، قال الله عزّ وجلّ: أُشهدكم كما اعترف أنّي أنا مالك يوم الدين، لأُسهلن يوم الحساب حسابه، ولأتقبّلن حسناته ولأتجاوزنّ عن سيّئاته. فإذا قال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، قال الله عزّ وجلّ: صدق عبدي، إيّاي يعبد، أُشهدكم لأثيبنّه على عبادته ثواباً يغبطه كلّ مَن خالفه في عبادته. فإذا قال: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين}، قال الله عزّ وجلّ: بي استعان والتجأ، أُشهدكم لأُعيننّه على أمره، ولأغيثنّه في شدائده، ولآخذنّ بيده يوم نوائبه. فإذا قال: {اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيم} إلى آخر السورة، قال الله جلّ جلاله، هذا لعبدي ولعبدي ما سأل، قد استجبت لعبدي وأعطينه ما أمل وآمنته ممّا منه وجل.

عزيزي القارىء: ليست هذه المقامات لكلّ من يقرأ الحمد حتّى ولو كان فاسد العقيدة، بل بشرطها وشروطها، ومن أهمّ شرائطها كما يدلّ عليه الخبر الشريف نفسه، أن يكون العبد عبد الله، لا عبد الهوى والنفس، **{أَفَمَنْ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ}**، وعبد الدنيا والدينار والجاه والمقام، ويطيع الطواغيت والجبابرة والظالمين، فليس لمثل هذا الذي يتولّى عدوّ الله وأئمة الضلال إلاّ النار، حتى ولو قرأ الحمد ليل نهار.

فعلينا أن نقرأ الحمد بإيمان كامل وعقيدة صحيحة وعمل صالح وعلم نافع، فإنّ في الحمد كلّ المعارف القرآنية، فإنّه على عظمته وشموخه في معارفه السامية وما يتفرّع عليها من الفروع والأحكام في العبادات والمعاملات والسياسات والأخلاق والآداب والسنن، ومن الوعد والوعيد والقصص والحكم والأمثال وغير ذلك، كلّها ترجع إلى أُصولها الثلاثة: التوحيد والمعاد والنبوّة وما يتعلّق بها،

وإلى هداية الناس إلى ما فيه الخير والصلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، وهذه السورة المقدّسة على اختصارها وقلّة كلماتها تحتوي على جميعها في أوجز لفظ وأوضح معنى، والغرض الأساس من الوحي والدين هو حفظ أُصوله، ثمّ فروعه ومعارفه.

وأوّل المعرفة وأوّل العلم معرفة الله جلّ جلاله، وتوحيده في الذات والصفات والأفعال، ثمّ المعرفة بصفاته وأفعاله، ثمّ معرفة يوم الدين، يوم جزاء المؤمن على طاعته والكافر على معصيته وكفره، وأنّ الله مالك ذلك اليوم وإليه الحساب، ومَن عرف المعاد صلح في عمله، فإنّ معرفة المعاد والإيمان به تحثّ المكلّف على الطاعة والعمل الصالح، وأفضل الأعمال العبادة، فهي فلسفة الحياة، وسرّ الخليقة، وإنّما يستحقّ العبادة ربّ العالمين; **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}**، ولا تكون إلاّ إذا وثق العبد بربّه وتوكّل عليه واستعان به; **{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}**، إنّما تنقاد النفس إلى الطاعة بلطف من الله وعنايته فندعو الله; **{اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ}**، صراط محمد وآله، فيحتاج الإنسان إلى من يبيّن هذا الصراط، فلا بدّ من النبوّة والإمامة، وأشار بقوله: **{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}**، وأنّ الناس في المعرفة بالله والإيمان والعمل على طوائف ثلاثة: فمنهم: مَن وصل إلى ساحل المعرفة وعصر النور الذي يسعى بين أيديهم، فاستغرقوا في الطاعة والعمل، ومنهم: مَن عاند واستخفّ بأوامر الله ونواهيه وأعرض عن المعرفة، فغضب الله عليه، ومنهم: من تاه في الجهالة وبقي حيران في وادي الظلمات وظلّ الطريق. فالطائفة الأُولى: الذين أنعم الله عليهم، والثانية: المغضوب عليهم، والثالثة: الضالّين، كما كانت هذه الطوائف في الأُمم السالفة.

فهذه السورة الشريفة تحتوي رموزاً لكلّ ما جاء في القرآن الكريم من

المعارف والعلوم، ويجب على كلّ مسلم مكلّف في كلّ يوم وليلة أن يتلوها عشر مرّات في أهمّ أركان دينه وعموده، وهي الصلاة، ليعرف أُصوله وفروعه وحقائقه، ويعرف طريق الهدى والصراط المستقيم، ليهتدي ويسعد في الدارين، كما يعرف طريق الضلال والغضب ليتجنّبه وينجو من الشقاء والنار والخزي في الدنيا والآخرة.

«ومَن تتبّع آي الذكر الحكيم، وتدبّر معانيها، يجد وراءها مقسماً مشتركاً وإطاراً عاماً يربط بين جميع قواعده ومبادئه وسوره وآياته، وهذا الرابط هو الدعوة إلى أن يحيا الناس. كلّ الناس. حياة طيّبة يسودها الأمن والعدل ويغمرها الخصب والسلام: **{يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلْرَسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ}**[1]»[2].

ومن فضائل سورة الحمد: ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أيّما مسلم قرأ فاتحة الكتاب، أُعطي من الأجر كأنّما قرأ ثلثي القرآن، وأُعطي من الأجر كأنّما تصدّق على كلّ مؤمن ومؤمنة»[3].

وعن جابر بن عبد الله، عنه (عليه السلام)، قال: «هي شفاء من كلّ داء إلاّ السامّ، والسامّ الموت»[4].

1- سورة الأنفال، الآية 23.

2- تفسير الكاشف 1: 10.

3- جامع الجوامع 1: 15.

4- جامع الجوامع 1: 15.

وهناك روايات كثيرة في بيان فضائل سورة الحمد، كما أنّ الحديث حولها في علم التفسير والحديث واستخراج المعارف منها لكثير جداً، لم نطرق أبوابها طلباً للاختصار، وإنّ المقصود بيان نقطة باء البسملة، فتدبّر.

من معالم البسملة

لقد وردت في أخبارنا المروية عن النبي الأكرم وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) أنّه: «لا صلاة إلاّ بفاتحة الكتاب»، كما أنّ البسملة من الفاتحة، هذا ما اتّفق عليه المسلمون.

روى الصدوق، بإسناده، في أماليه والعيون، عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، أنّه قال: «إنّ بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات، تمامها ببسم الله الرحمن الرحيم، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنّ الله عزّ وجلّ قال لي: يا محمد **{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ}**، فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإنّ الله عزّ وجلّ خصّ محمداً وشرّفه بها، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان، فإنّه أعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت: **{إِنّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}**، ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد وآله الطيبين، منقاداً لأمرهما، مؤمناً بظاهرهما وباطنهما، أعطاه الله عزّ وجلّ بكلّ حرف منها حسنة، كلّ واحدة منها أفضل له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع إلى قارىء يقرأها كان له قدر ثلث ما للقارىء، فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرض لكم، فإنّه غنيمة لا يذهبنّ أوانه فتبقى في قلوبكم الحسرة».

وروى القمّي في تفسيره، عن ابن أذينة، قال: قال أبو عبد الله الإمام الصادق (عليه السلام): بسم الله الرحمن الرحيم، أحقّ ما أجهر به، وهي الآية التي قال

الله عزّ وجلّ: **{وَإذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً}**[1].

وقد أفتى الفقهاء باستحباب الجهر بالبسملة في الصلاة الاخفاتية ووجوبه في الجهرية، وقيل بوجوبه مطلقاً، والجهر بها في غيرها، وفيها: من علامات المؤمن، كما ورد في الخبر الشريف.

فالبسملة جزء من فاتحة الكتاب، هذا ما اتّفق عليه أهل القبلة، وأمّا في غيرها من السور إلاّ سورة البرائة فإنّها عند الشيعة الإمامية جزء من كلّ سورة، كما ورد في الروايات. وقال الشيخ الطوسي في تفسيره (التبيان): «عندنا بسم الله آية من الحمد ومن كلّ سورة». وقال الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان): «اتّفق أصحابنا أنّها آية من سورة الحمد ومن كلّ سورة، وإنّ من تركها في الصلاة بطلت صلاته، سواء كانت الصلاة فرضاً أو نفلا، وأنّه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة، ويستحبّ الجهر فيما يخافت فيه بالقراءة».

روى العياشي في تفسيره، عن علي (عليه السلام) أنّه بلغه أنّ اُناساً ينزعون بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: هي آية من كتاب الله أنساهم إيّاها الشيطان.

وبإسناده، عن أبي جعفر الإمام الباقر (عليه السلام)، قال: سرقوا أكرم آية في كتاب الله: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}.

فأبناء العامة لا يقرأون البسملة في حمدهم في الصلاة، على أنّهم يقرأونها بنيّة الدعاء، زاعمين أنّها تشتمل على ذلك، وبعضهم يخفت فيها.

ثمّ في معنى باء البسملة، أقوال:

1 . للاستعانة، كما هو المشهور، أي: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} أقرأ أو أكتب

1- سورة الإسراء، الآية 46.

وأعمل وأُريد وأقول وغير ذلك من الأمور مستعيناً به عزّ وجلّ. وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): {بِسْمِ اللهِ} أي: أستعين على أُموري كلّها بالله.

2 . للإلصاق، على أنّ المقصود من العلوم كلّها هو وصول العبد إلى ربّه، وأنّ العلوم في القرآن الكريم، وما في القرآن إنّما هو في الفاتحة، وعلومها مندرجة في البسملة، وما فيها في بائها، فالعبد بها يصل إلى ربّه، وهو نهاية المنى.

3 . للمصاحبة والملابسة، أي كلّ ما أفعله إنّما هو ملابساً بسم الله الرحمن الرحيم.

وفي لفظ الجلالة (الله) أقوال:

1 . إنّه ليس بمشتقّ، وإنّما هو اسم للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال، وهو المشهور، وقد مرّ علينا بعض التحقيق في هذا الباب.

2 . عن ابن عباس: هو الذي يألهه كلّ شيء، ويعبده كلّ خلق، وهو ذو الأُلوهية والمعبودية على الخلق أجمعين، بناءً على اشتقاقه من أله بمعنى: عبد.

3 . عن المبرّد: إنّه مشتقّ من أله بمعنى: سكن، فإنّ النفوس لا تسكن إلاّ إليه، وإنّ العقول لا تقف إلاّ لديه، ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب.

4 . إنّه مشتقّ من وله، وهو ذهاب العقل وتحيّره في كنه ذاته وجلاله وعظمته.

5 . إنّه مشتقّ من لاه بمعنى: ارتفع; لأنّه جلّ وعلا ارتفع عن مشابهة كلّ شيء سواه.

6 . إنّه مشتقّ من لاه بمعنى: احتجب; لأنّه تعالى بكنه صمديته محتجب عن العقول لكمال ظهوره.

7 . إنّه مشتقّ من أله الفصيل إذا ولع بأُمّه; فإنّ العباد إذا مسّهم الضرّ

مولعون منيبون بالتضرّع إليه، وهناك أقوال أُخرى بعيدة[1]، وذكرنا ما قاله العلاّمة الطباطبائي في تفسيره حول الاسم واسم الجلالة والرحمن الرحيم، وفيهما أقوال أُخرى لم نتعرّض لها طلباً للاختصار.

واعلم أنّ البسملة من كلمات الله المقدّسة وأذكاره الروحانية التي لها آثار وخواصّ في تربية النفوس البشرية من التزكية والفلاح والصلاح، ويطرد بها الشيطان الرجيم والنفاق، وإنّ اسم الله الأعظم أقرب إليها من سواد العين إلى بياضها، فهي شعار المسلمين وكلمة المعتصمين ومقالة المتحرّزين، يستفتحون بها أقوالهم وأعمالهم ويتبرّكون بها في سائر أفعالهم، وإنّها من سنّة الأنبياء ولا سيما خاتم المرسلين والنبيّين محمد (صلى الله عليه وآله)، بها تفتح سور القرآن، وتكون الأعمال مباركة لو قرنت بالبسملة، بل لو لم يذكر اسم الله على الذبيحة فإنّها تكون ميتة ويحرم أكلها، فما لم يذكر عليه اسم الله يكون بحكم الميتة يضرّ الروح والجسد، وعند أهل المعرفة وأولياء الله كلّ شيء لم يذكر عليه اسم الله، فإنّه يضرّ بالروح ويكون لها بحكم الميتة، والإمام السجّاد يستغفر الله من كلّ لذّة ليس فيها اسم الله **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}**[2].

فنستعين عند افتتاح كلّ أمر صغير أو كبير بالله الذي وسعت رحمته كلّ شيء، حتّى الكافر في الدنيا، وخصّت رحمته بالمؤمنين المتّقين المحسنين في الدنيا والآخرة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّ الله منّ عليّ بفاتحة الكتاب من كنز الجنّة فيها:

1- تفسير البصائر 1: 119.

2- سورة الأعلى، الآية 14 . 15.

{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، الآية التي يقول فيها: **{وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً}**.

وفي توحيد الشيخ الصدوق، بإسناده، عن الحسن بن محمد (عليه السلام)، في قول الله عزّ وجلّ **{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}**، فقال: الله هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من كلّ مَن دونه وتقطّع الأسباب عن جميع ما سواه، يقول: بسم الله أي أستعين على أُموري كلّها بالله الذي لا يحقّ العبادة إلاّ له المغيث إذا استُغيث، المجيب إذا دُعي.

قام رجل إلى عليّ بن الحسين (عليه السلام)، فقال: أخبرني ما معنى **{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}**؟ فقال الإمام علي بن الحسين: حدّثني أبي، عن أخيه الحسن، عن أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّ رجلا قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن **{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}** ما معناه؟ فقال: إنّ قولك (الله) أعظم اسم من أسماء الله عزّ وجلّ، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمّى به غير الله، ولم يتسمّ به مخلوق، فقال الرجل: فما تفسير قوله (الله)؟ فقال: هو الذي يتألّه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع مَن دونه وتقطّع الأسباب من كلّ ما سواه. وذلك أنّ كلّ مترأّس في هذه الدنيا ومتعظّم فيها، وإن عظم غناؤه وطغيانه وكثرت حوائج مَن دونه إليه، فإنّهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعاظم، وكذلك هذا المتعاظم يحتاج

حوائج لا يقدر عليها، فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته، حتّى إذا كفى همّه عاد إلى شركه. أما تسمع الله عزّ وجلّ: {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إنْ أتاكُمْ عَذابُ اللهِ أو أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ بَلْ إيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إلَيْهِ إنْ شاءَ وَتَنْسُونَ ما تُشْرِكُونَ}، فقال الله جلّ جلاله لعباده: أيّها الفقراء إلى رحمتي، إنّي قد ألزمتكم الحاجة إليّ في كلّ حال، وذلّة العبودية في كلّ وقت، فإليّ فافزعوا

في كلّ أمر تأخذون فيه وترجون تمامه وبلوغ غايته، فإنّي إن أردت أن أُعطيكم لم يقدر غيري على منعكم، وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطائكم، فأنا أحقّ مَن سئل، وأولى مَن تضرّع إليه. فقولوا عند افتتاح كلّ أمر صغير أو عظيم: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، أي أستعين على هذا الأمر بالله الذي لا تحقّ العبادة لغيره، المغيث: إذا استغيث، المجيب: إذا دُعي، الرحمن: الذي يرحم، يبسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا ودنيانا وآخرتنا، وخفّف علينا الدين، وجعله سهلا خفيفاً، وهو يرحمنا.

ثمّ وردت روايات كثيرة تدلّ على فضل البسملة وعظمتها عند الله وآثارها في الدنيا والآخرة، فروى شيخنا الصدوق عليه الرحمة في عيون الأخبار بإسناده، عن محمد بن سنان، عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها.

وعن ابن مسعود، عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، من أراد أن ينجيه من الزبانية فليقرأ: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} تسعة عشر حرفاً ليجعل الله كلّ حرف منها جُنّة من واحد منها.

في الكافي، بسنده، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: أوّل كتاب نزل من السماء {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، فإذا قرأت {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}فلا تبالي أن لا تستعيذ، وإذا قرأت {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} سترتك فيما بين السماوات والأرض[1].

وأيضاً بسنده، عن جميل بن درّاج، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): لا تدع

1- تفسير نور الثقلين 1: 6.

{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} وإن كان بعده شعر.

قال أبو عبد الله (عليه السلام): اكتب {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} من أجود كتابك، ولا تمدّ الباء حتّى ترفع السين.

وقال (عليه السلام): احتجبوا من الناس كلّهم بـ {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، و بـ {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ}، اقرأها عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك ومن فوقك ومن تحتك، وإذا دخلت على سلطان جائر فاقرأها حين تنظر إليه ثلاث مرّات واعقد بيدك اليسرى ثمّ لا تفارقها حتّى تخرج من عنده.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من حزنه عن أمر يتعاطاه فقال: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} وهو يخلص لله ويُقبل بقلبه إليه، لم ينفكّ من إحدى اثنتين: إمّا بلوغ حاجته في الدنيا، وإمّا تعدّ له عند ربّه وتدّخر لديه، وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام)، في حديث طويل، قال: لربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، فيمتحنه الله عزّ وجلّ بمكروه ينبّهه على شكر الله تبارك وتعالى والثناء عليه ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قول {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}.

وعنه (عليه السلام): {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}; اسم الله الأكبر . أو قال: . الأعظم.

وفي (تهذيب الأحكام) بسنده، عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن السبع المثاني والقرآن العظيم هي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} من السبع المثاني؟ قال: نعم، هي أفضلهنّ.

وعن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}؟ فقال: الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مجد الله، وروى بعضهم

ملك الله، والله إله كلّ شيء، والرحمن بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصّة(1).

وعن النبيّ الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله)، قال: من قرأ {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}كتب الله له بكلّ حرف أربعة آلاف حسنة، ومحى عنه أربعة آلاف سيئة، ورفع له أربعة آلاف درجة.

وقال: إذا قال العبد عند منامه: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، يقول الله: ملائكتي اكتبوا نَفَسَهُ إلى الصباح.

وسئل النبي: هل يأكل الشيطان مع الإنسان؟ فقال: نعم، كلّ مائدة لم يذكر بسم الله عليها يأكل الشيطان معهم، ويرفع الله البركة عنها، ونهى عن أكل ما لم يذكر عليه بسم الله، كما قال الله تعالى في سورة الأنعام: {وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ}.

في لطائف الإشارات: إنّ شجرة الوجود تضرّعت عن البسملة والعالم كلّه قائم بها.

في رواية، عن جعفر بن محمد (عليهما السلام)، قال: إنّ البسملة في كتاب الله تعالى كالمفتاح للأبواب، فكما لا يمكن فتح القفل إلاّ بالمفتاح، كذلك البسملة لا يدخل في قراءة كلام الله المجيد إلاّ بها، ثمّ قال:

في إحقاق الحقّ، عن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال: البسملة تيجان السور.

في الدرّ المنثور، عن أبي مالك، قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله) يكتب: باسمك اللّهم، فلمّا نزلت: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، كتب {بِسْمِ اللهِ

1- الروايات من تفسير نور الثقلين 1: 7 ـ 12.

الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، عن الله تعالى: كلّ أمر ذي بال ما لم يذكر فيه بسم الله فهو أبتر [1].

وروى الكليني في الكافي، بإسناده، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا وضعت المائدة حفّتها أربعة آلاف ملك، فإذا قال العبد: بسم الله، قالت الملائكة: بارك الله عليكم في طعامكم، ثمّ يقولون للشيطان: أُخرج يا فاسق، لا سلطان لك عليهم، فإذا فرغوا فقالوا: الحمد لله، قالت الملائكة: قوم أنعم الله عليهم فأدّوا شكر ربّهم، وإذا لم يسمّوا قالت الملائكة للشيطان: أُدنُ يا فاسق فكل معهم، فإذا رفعت المائدة ولم يذكروا اسم الله عليها قالت الملائكة: قوم أنعم الله عليهم فنسوا ربّهم عزّ وجلّ.

وبإسناده، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما من رجل يجمع عياله ويضع مائدة بين يديه ويسمّي ويسمّون في أوّل الطعام ويحمدون في آخره فترفع المائدة، حتّى يغفر لهم.

وروى الحميري في (قرب الإسناد)، بإسناده، عن الإمام الباقر (عليه السلام): أنّ علياً (عليه السلام) كان يقول: مَن أكل طعاماً فسمّى الله على أوّله وحمد الله على آخره لم يُسئل عن نعيم ذلك الطعام كائناً ما كان . أي قليلا كان أو كثيراً، لذيذاً أم غيره ..

وفي (الخصال)، بإسناده، عن علي (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الطعام إذا جمع أربع خصال فقد تمّ: إذا كان من حلال، وكثرت الأيدي عليه،

1- الروايات من تفسير البصائر 1: 223.

وسمّي الله تبارك وتعالى في أوّله، وحمد في آخره.

وفي (المحاسن)، عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، أنّه قال: ضمنت لمن سمّى الله تعالى على طعامه أن لا يشتكي منه، فقال ابن الكوّاء . وكان من المنافقين .: يا أمير المؤمنين، لقد أكلت البارحة طعاماً فسمّيت عليه فآذاني، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): أكلت ألواناً فسمّيت على بعضها ولم تسمّ على كلّ لون يا لكع. . اللكع: أي اللئيم والعبد والأحمق ومَن لا يتّجه لمنطق وغيره ..

وفي (الدرّ المنثور)، عن ابن عبّاس، عن النبيّ، قال: قال إبليس: يا ربّ، كلّ خلقك بيّنت رزقه، ففيم رزقي؟ قال: فيما لم يذكر اسمي عليه.

وروى البرقي في محاسنه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: إذا توضّأ أحدكم ولم يسمّ كان للشيطان في وضوئه شرك، وإن أكل أو شرب أو لبس، وكلّ شيء صنعه ينبغي أن يسمّي عليه، فإن لم يفعل كان للشيطان فيه شرك.

فينبغي لكلّ مسلم في كلّ عمل وفعل وحركة وسكون وقول وكلام أن يبدأ بالبسملة لطرد الشيطان وحزبه ووسوسته، فإنّ ما يذكر عليه اسم الله يكون مصوناً من شراك الشيطان الرجيم الذي أقسم بعزّة الله في إغواء البشرية **{لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِين}**، وقال الله تعالى: **{وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَاجْلُبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ في الأَمْوالِ وَالأوْلادِ}**[1].

وقد ورد في الأحاديث الشريفة أنّه مَن لم يسمّ بالله عند المقاربة والجماع

1- سورة الإسراء، الآية 64.

فإنّ الشيطان يشاركه في الولد[1]، يعني أنّ الولد يكون فيه الشيطنة وعمل السوء وربما يكون من الجناة العصاة. ومن لم يذكر الله على كلّ حال فإنّ له عواقب سيئة، والله سبحانه يقول: **{وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِين وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ}**[2].

فكيف يسعد من كان الشيطان صاحبه وقرينه؟ وكيف يصدر منه الخير والشيطان يوحي إليه الشرور **{إنَّما الشَّياطِينُ يُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ}**، وكيف تكون له حياة طيبة وعيشة راضية مرضية والله يقول: **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْري فَإِنَّ لَهُ عِيشَةً ضَنْكاً}**[3].

وقال الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله): «كلّ أمر ذي بال لم يبدأ بالبسملة فهو أبتر»; أي: مقطوع الأثر لا بركة فيه ولا خير مستمرّ ومستقرّ.

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): بسم الله فاتقة للرتوق، مسهّلة للوعور، مجنّبة للشرور، وشفاء لما في الصدور.

ومن المتعارف عند الناس أنّ الخادم لو اشترى شيئاً من الخيل والحمير

1- في الرواية: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا توضّأت فقل: بسم الله; فإنّ حفظتك لا تبرح أن تكتب لك الحسنات حتى تفرغ، وإذا غشيت أهلك فقل: بسم الله; فإنّ حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة، فإن حصل من تلك الواقعة ولد، كتب لك من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد، وبعدد أنفاس أعقابه إن كان له عقب حتى لا يبقى منهم أحد. وإذا ركبت دابّة فقل: بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات بعدد كلّ خطوة. وإذا ركبت السفينة فقل: بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها.

2- سورة الزخرف، الآية 36.

3- سورة طه، الآية 124.

يضع عليها سمة سيده; لئلاّ يطمع فيها الأعداء. والإنسان له عدوّ لدود وهو الشيطان، فكلّ ما ليس عليه سمة سيد الإنسان وربّه . وهو الله سبحانه . فإنّ الشيطان يطمع فيه، فإذا أخذت بعمل فاجعل عليه اسم الله وسمته، وقل بسم الله الرحمن الرحيم; حتّى لا يطمع فيك عدوّك الشيطان.

وفي تفسير فخر الرازي: مرض موسى (عليه السلام) واشتدّ وجع بطنه، فشكى إلى الله تعالى، فدلّه على عشب في المفازة، فأكل منه، فعوفي بإذن الله تعالى، ثمّ عاوده ذلك المرض في وقت آخر، فأكل ذلك العشب، فازداد مرضه، فقال: يا رب، أكلته أوّلا فانتفعت به وأكلته ثانياً فازداد مرضي! فقال: لأنّك في المرّة الأُولى ذهبت منّي إلى الكلأ فحصل فيه الشفاء، وفي المرّة الثانية ذهبت منك إلى الكلأ فازداد المرض، أما علمت أنّ الدنيا كلّها سمّ قاتل وترياقها اسمي.

وفي رواية: أنّ قيصر الروم ابتلي بالصرع، فعجز الأطباء عن معالجته، فكتب إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، فأرسل علي (عليه السلام) طاقية، وقال: لا بدّ وأن تضع هذه على رأسه فيشفى، فلمّا وضعها القيصر على رأسه شُفي، فتعجّب من ذلك وأمر بشقّها فرأى فيها قرطاساً كتب فيه: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، فعلم أنّ الشفاء ببركة البسملة.

إنّ الله أمر عباده أن يذكروه على كلّ حال، فإنّ ذكره حسن يوجب الفلاح والصلاح والتقوى وسعادة الدارين {وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[1]، ومَن يذكر الله يحصل له حالة الفناء في الله، ثمّ البقاء بعد الفناء، والصحو بعد المحو.

وما أروع ما يقوله الإمام السجّاد (عليه السلام) في مناجاته (مناجاة الذاكرين):

1- سورة الأنفال، الآية 45.

«إلهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزّهتك من ذكري إيّاك على أنّ ذكري لك بقدري لا بقدرك، وما عسى أن يبلغ مقداري حتّى أُجعل محلاّ لتقديسك، ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا وإذنك لنا بدعائك وتنزيهك وتسبيحك، إلهي فألهمنا ذكرك في الخلاء والملاء والليل والنهار والإعلان والإسرار وفي السرّاء والضرّاء، وآنِسنا بالذكر الخفي، واستعملنا بالعمل الذكي والسعي المرضيّ، وجازنا بالميزان الوفي، إلهي بك هامت القلوب الوالهة، وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة، فلا تطمئنّ القلوب إلاّ بذكراك، ولا تسكن النفوس إلاّ عند رؤياك. أنت المسبّح في كلّ مكان، والمعبود في كلّ زمان، والموجود في كلّ أوان، والمدعوّ بكلّ لسان، والمعظّم في كلّ جنان. وأستغفرك من كلّ لذّة بغير ذكرك، ومن كلّ راحة بغير أُنسك، ومن كلّ سرور بغير قربك، ومن كلّ شغل بغير طاعتك. إلهي أنت قلت . وقولك الحقّ .: {يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا}، وقلت . وقولك الحقّ .: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}، فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشريفاً لنا وتفخيماً وإعظاماً، وها نحن ذاكروك كما أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا يا ذاكر الذاكرين، ويا أرحم الراحمين».

نعم، إنّ الله سبحانه يريد بالإنسان تفخيماً له، {وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ}، وتكريماً لمقامه، فإنّ فيه من روحه، {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي}، يريد بنا أن نذكره دائماً وعلى كلّ حال، حتّى تحلّق أرواحنا بالملأ الأعلى، وتتّصل

أعمالنا بالملكوت، فتستقي من الينابيع الإلهية الفيّاضة جميع الكمالات والفضائل والمكارم، التي يكون الإنسان بها إنساناً كاملا، يدنو من ربّه دنوّاً وقرباً معنوياً قاب قوسين أو أدنى.

فمن يذكر الله بإخلاص ينجذب إلى ربّه، ويتعلّق به، وتكون الرابطة المعنوية

الروحية القلبية بين العبد والمعبود، يشعر به من اتّخذ التقوى شعاراً له، ولم يفتر عن ذكر الله بلسانه وجوانحه وجوارحه، فينشرح صدره بنور الإيمان الذي يمنّ الله به على من يذكره، ولم يقسَ قلبه بالآثام والمعاصي والذنوب، كما قال سبحانه: **{أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُور مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبِهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولئِكَ في ضَلال مُبِين}**[1].

{لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالقاسِيَة قُلُوبُهُمْ وإنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقاق بَعِيد} [2].

فمن يبتعد عن ذكر الله ونسى الله فإنّه يغفل عن نفسه وينسى نفسه: **{نَسُوا اللهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ}**، فيُبتلى بالمعاصي والذنوب ويقسو قلبه ويكون كالحجارة أو أشدّ قسوة، قال تعالى: **{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَة}**[3].

فعلينا أن نذكر الله على كلّ حال وفي جميع الأحوال، وإنّ من أفضل الذكر : **{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}**.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات والأرض». وقال: «لولا هيام الشياطين على قلوبكم لسمعتم ما أسمع ولرأيتم ما أرى».

وليس للشيطان سبيل على الذاكرين المتوكّلين العابدين، قال الله تعالى:

1- سورة الزمر، الآية 22.

2- سورة الحجّ، الآية 53.

3- سورة البقرة، الآية 74.

{فَإِذا قَرَأتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّما سُلْطانُهُ عَلى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ}[1].

{وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً}[2]، ومن يعش عن ذكر الله يقيّض له شيطاناً فهو له قرين، ويصدّنه عن السبيل وعن ذكر الله، فلا يرى الحقّ ولا يؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر وساء مصيراً.

فالشيطان عدوّ الإنسان بصريح القرآن، والذي يخلّصنا من شرّه وكيده وحزبه وأعوانه ومكره وحيله هو ذكر الله وإطاعته، فإياك نعبد وإياك نستعين، وشعارنا ودثارنا في كلّ حال **{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}**، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قال العلاّمة الشيخ محمد جواد مغنية في تفسيره[3]: بسم الله الرحمن الرحيم: هذه الكلمة المقدّسة شعار مختصّ بالمسلمين، يستفتحون بها أقوالهم وأعمالهم، وتأتي من حيث الدلالة على الإسلام بالمرتبة الثانية من كلمة الشهادتين: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، أمّا غير المسلمين فيستفتحون باسمك اللّهمّ، وباسمه تعالى، أو

باسم المبدىء المعيد، أو باسم الأب والإبن وروح القدس، ونحو ذلك. وتحذف الهمزة من لفظة (بسم) نطقاً وخطاً في البسملة لكثرة الاستعمال، وتحذف الهمزة نطقاً لا خطأ في غير البسملة نحو سبّح باسم ربّك الأعلى. ولفظ الجلالة (الله) علم للمعبود والذي يوصف بجميع صفات الجلال والكمال،

1- سورة النحل، الآيات 98 ـ 100.
2- سورة النساء، الآية 38.
3- الكاشف 1: 24.

ولا يوصف به شيء، وقيل: إنّ لله إسماً هو الاسم الأعظم وإنّ الذي يعرفه تفيض عليه الخيرات، وتقع على يده المعجزات. ونحن نؤمن ونعتقد بأنّ كلّ اسم لله هو الاسم الأعظم; لأنّه كلّه عظيم، لأنّ التفضيل لا يصحّ إطلاقاً، لعدم وجود طرف ثان تسوغ معه المفاضلة... وبكلمة إنّ المفاضلة تستدعي المشاركة وزيادة... والذي ليس كمثله شيء لا يشاركه أحد في شيء.

ولكن ربما نقول جواباً بأنّ التفضيل ليس باعتبار المسمّى، إنّما هو باعتبار الاسم ولفظة الجلالة (الله) أعظم من بقية أسماء الله; لأنّه يدلّ على الذات المستجمع لجميع الصفات الكمالية كالعلم والقدرة والحياة، بخلاف اسم العالم فإنّه يدلّ على الذات ولكن باعتبار العلم، والذي ليس كمثله شيء لا يشاركه أحد في شيء إنّما هو في ذاته وواجب وجوده لذاته، فتأمّل.

ثمّ قال: والرحمن في الأصل وصف مشتقّ من الرحمة، ومعناها بالنسبة إليه تعالى الاحسان، وبالنسبة إلى غيره معناها رقة القلب، ثمّ شاع استعمال الرحمن في الذات القدسية حتّى صار من أسماء الله الحسنى. قال تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنى}، وعلى هذا فلك أن تعرب لفظة الرحمن صفة لله بالنظر إلى الأصل، ولك أن تجعلها بدلا بالنظر إلى النقل.

الرحيم أيضاً وصف مشتقّ من الرحمة بمعنى الاحسان بالنسبة إليه جلّ وعزّ، وفرّق أكثر المفسّرين أو الكثير منهم بين لفظة الرحمن ولفظة الرحيم بأنّ الرحمن مشتقّ من الرحمة الشاملة للمؤمن والكافر، والرحيم من الرحمة الخاصة بالمؤمن، وفرّعوا على ذلك أن تقول: يا رحمن الدنيا والآخرة، وأن تقول: يا رحيم الآخرة فقط دون الدنيا... أمّا أنا فأقول: يا رحمن يا رحيم الدنيا والآخرة {أَهُمْ يَقْسِمُونَ

رَحْمَةَ رَبِّكَ}[1].

ولكن نقول للشيخ: إنّ القرآن يفسّر بعضه بعضه، كما إنّ الروايات ترجمان القرآن، وهذا التقسيم في الرحمة العامة والخاصة إنّما هو باعتبار المؤمن والكافر لا باعتبار الدنيا والآخرة، نعم، إنّما يرحم الله عباده برحمته العامة الشاملة للمؤمن والكافر في الدنيا، فإنّ الكافر بعيد عن رحمة الله وإنّ له عذاب وبئس المصير، وأمّا المؤمن المتّقي والمحسن فإنّ رحمة الله الخاصة قريب منه في الدنيا والآخرة، فالله سبحانه رحمن رحيم في الدنيا والآخرة للمؤمنين كما ورد في الدعاء الشريف: يا رحمن يا رحيم الدنيا والآخرة، كما إنّ هذا التقسيم ورد في رواياتنا أيضاً، فتأمّل.

ثمّ قال: ومعنى {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} بجملة أنّك قد ابتدأت عملك مستعيناً بالله الذي وسعت رحمته كلّ شيء مسجّلا على نفسك أنّ ما تفعله هو باسم الله لا باسمك أنت، ولا باسم أحد سواه، تماماً كما يقول موظف الدولة للرعايا: باسم الدولة عليكم كذا وكذا... وإنّ عملك الذي باشرت هو حلال لا شائبة فيه لما حرّم الله... فإن كان حراماً، وفعلته باسم الله فقد عصيت مرتين في آن واحد، وفعل واحد: مرّة لأنّه حرام بذاته، ومرّة لأنّك كذبت في نسبته إلى الله تعالى علوّاً كبيراً.

والبسملة جزء من السورة عند الشيعة الإمامية... وقد أوجبوا الجهر بها فيما يجب الجهر فيه بالقراءة كصلاة الصبح وأوليي المغرب والعشاء، ويستحبّ الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءة، كأُوليي الظهر والعصر ويجوز الاخفات.

1- سورة الزخرف، الآية 32.

وقال الحنفية والمالكية: يجوز ترك البسملة في الصلاة كلّية، لأنّها ليست جزءاً من السورة... وقال الشافعية والحنابلة: بل هي جزء لا تترك بحال، سوى أنّ الحنابلة قالوا: يُخفت بها إطلاقاً، وقال الشافعية: يجهر بها في الصبح وأُوليي العشائين وما عدا ذلك إخفات... ويتّفق قول الشافعية والحنابلة مع قول الإمامية.

وتجمل الإشارة إلى أنّ اسم الله سبحانه وصفاته تتألّف من هذه الحروف وتلفظ وتكتب كغيرها من الكلمات، ومع هذا لها قدسية وأحكام خاصّة بها، فلا يجوز أن يكتب شيء منها على ورق أو غيره أو بمداد أو قلم نجس، وأيضاً لا يجوز مسّها إلاّ للمطهّرين.

وقال قائل: إنّ سورة الفاتحة تضمّنت جميع معاني القرآن دون استثناء، وإنّ البسملة تضمّنت جميع معاني الفاتحة، وإنّ الباء من البسملة تضمّنت جميع معاني البسملة، وبالتالي تكون الباء من {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} فيها معاني القرآن بكامله. وهذا القائل أشبه بمن يحاول أن يدخل الكون بأرضه وسمائه في البيضة دون أن تكبر البيضة أو يصغر الكون...

والعجب من الشيخ كيف يعجب من ذلك، وإذا لم يكن من أهل هذا المعنى ولم يتحمّله، فإنّه من الأمر الصعب المستصعب، فلماذا هكذا ينكره، أما كان الأولى أن يرجع علمه إلى أهله.

أليس هو القائل في وجه تسمية سورة الحمد بأمّ الكتاب: «... ولأنّها اشتملت على أصلين: ذكر الربوبية والعبودية، وعليهما ترتكز تعاليم القرآن»(1)،

1- الصفحة: 32.

فكلّ ما في القرآن إنّما يدور حول ركيزته، وهي الربوبية والعبودية، وهما في البسملة، فاسم الجلالة إشارة إلى الربوبية، والرحمن الرحيم بعباده إشارة إلى العبودية.

أليس أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حدّث ابن عبّاس عن حرف واحد ساعة تامة؟ فماذا يوجد في الحرف الواحد من كلام لمدة ساعة واحدة؟

ثمّ لماذا يستبعد أن يكون الكون في بيضة من دون أن يصغر الكون ولا تكبر البيضة؟ أما قرأ هذا الحديث الشريف:

روى الشيخ الصدوق[1]، بإسناده: جاء رجل إلى الإمام الرضا (عليه السلام)، فقال: هل يقدر ربّك أن يجعل السماوات والأرض وما بينهما في بيضة؟ قال: نعم، وفي أصغر من البيضة، قد جعلها في عينك، وهي أقلّ من البيضة; لأنّك إذا فتحتها عاينت السماء والأرض وما بينهما، ولو شاء لأعماك عنها.

كما سُئل أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا السؤال، فأجاب بهذا الجواب، كما سُئل الإمام الصادق (عليه السلام) في قصة عبد الله الديصاني وهشام بن الحكم[2]، وأصل الإشكال إنّما هو من الشيطان حيث أشكل هذا الإشكال على المسيح عيسى ابن مريم فأجابه[3].

ولا أدري من أراد أن يكتب للمثقفين وبلغة عصرية، هل يعني أنّه ينكر ما لا يستوعبه من المعارف الحقّة، أو يمرّ بها مستخفّاً ومستهزءاً، ويوحي

1- التوحيد: 130.

2- راجع التوحيد: 122.

3- ذكرت تفصيل هذا البحث في كتاب (دروس اليقين في معرفة أُصول الدين): 138، فراجع.

إلى القارىء من حيث لا يشعر أنّ هذا من أساطير الأوّلين بقوله: «قال قائل»، والحال كثير من المفسّرين الذين رجعت إلى تفاسيرهم يذكرون هذا المعنى بأنّ القرآن جمعت معارفه في سورة الحمد، حتّى الكاتب اعترف بذلك كما ذكرته لك.

ثمّ قال في تحديد الإسلام بكلمة واحدة، وكيف يحدّد الإسلام بكلمة واحدة ولا يكون أشبه بمن يحاول أن يدخل الكون بأرضه وسمائه في البيضة دون أن تكبر البيضة أو يصغر الكون؟ ثمّ كيف يحدّد الاسلام بالاستقامة، والقرآن لا يحدّد به؟ والحال أنّ القرآن هو كتاب الإسلام ومصدر تشريعه الأوّل، وهناك الجناح الثاني والثقل الآخر للإسلام، وهو السنّة المتمثّلة بقول المعصوم (عليه السلام) وفعله وتقريره، فكيف يحدّد الإسلام . الكتاب والسنّة . بكلمة واحدة ولا يحدّد جزئه بكلمة واحدة؟ أليس هذا من التهافت؟ ولو كان ما قاله (قدس سره) من عند الله، لما كان فيه اختلافاً، فإنّ الحقيقة نقطة كثّرها الجاهلون، وعلى كلّ حال فيقول في تحديد الإسلام بكلمة واحدة.

قرأت في جريدة الجمهورية المصرية . تأريخ 21 نيسان سنة 1967 . كلمة قال كاتبها ضياء الريّس: إنّه قرأ مقالا في مجلة أدبية لكاتب عربي شهير، قال فيه: إنّه . أي الكاتب . حين كان عضواً في البعثة العلمية بإنكلترا اشتبك في نقاش حادّ مع انكليزية مثقفة حول الإسلام والمسيحية، فقالت الانكليزية . متحدية جميع المسلمين بشخص الكاتب المسلم . إنّي أُلخّص مبادىء المسيحية كلّها بكلمة واحدة، وهي المحبّة، فهل تستطيع أنت . أيّها المسلم . أن تأتي بكلمة تجمع مبادىء الإسلام؟ فأجابها الكاتب المسلم: أجل إنّها كلمة التوحيد.

وبعد أن نقل الريّس هذا الحوار قال: لم يكن الجواب موفّقاً، وذكر أسباباً

وجيهة وصحيحة تدعم حكمه على الكاتب بعدم التوفيق، وبعد أن انتهى الريّس من حكمه وأسبابه الموجبة، قال: لو وجّه إليّ هذا السؤال لأجبت بأنّ هذه الكلمة هي الرحمة، واستدلّ على صحّة جوابه هذا بالعديد من الآيات والروايات مبتدئاً بـ {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، إلى {وَما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ}... الخ. وصدق الريّس في قوله: إنّ الكاتب لم يكن موفّقاً في جوابه. ولكن الريّس أيضاً لم يكن موفّقاً في اختياره كلمة الرحمة، لأنّه لم يزد شيئاً على ما قالته الإنكليزية، حيث أخذ كلمة المحبّة منها، وترجمها إلى كلمة الرحمة، وعلى هذا لا يكون للإسلام أية ميزة على المسيحية.

ولو كنت حاضراً مع البعثة العلمية بإنكلترا لأجبت بكلمة (الاستقامة); فإنّها الكلمة الجامعة المانعة الشاملة للاستقامة في العقيدة بما فيها التوحيد والتنزيه عن الشبيه، وأيضاً تشمل الاستقامة في الأعمال والأخلاق والأحكام وجميع التعاليم بما فيها الرحمة والمحبّة والتعاون، إنّ الرحمة من مبادىء الإسلام وليست الإسلام بكامله، كما إنّ التوحيد أصل من أُصوله لا أُصوله بأجمعها.

وبما أنّ الاستقامة تجمع المحبّة والرحمة والتوحيد وسائر الأُصول الحقّة والأعمال الخيرية والأخلاق الكريمة المستقيمة...

يعتقد الكاتب أنّ الاستقامة هي الكلمة الجامعة المانعة، فكأنّما أراد أن يعرّف الإسلام بتمام ماهيته وذاتياته بالاستقامة التي تكون جامعة لمفاهيم الإسلام ومانعة من غيرها، والحال إنّما عرف الإسلام بلازمه، وهذا من

الرسم الناقص وليس تعريفاً تاماً، بل بنظري الكلمة الجامعة لمفاهيم الاسلام هو (التسليم)، التسليم في توحيد الله والتسليم للنبوّة والإمامة والمعاد والأخلاق وكلّ ما يقوله الإسلام وما جاء في مدارك أحكامه وقوانينه أي القرآن الكريم والسنّة الشريفة.

ثمّ كلمة التوحيد لو كانت تامة وبشرطها وشروطها ومنها النبوّة والإمامة وما صدر عنهما فإنّه تمام الإسلام أيضاً، كما قال ذلك الكاتب المسلم في جواب المثقفة المسيحية، بل الإسلام هو الرحمة الإلهية واللطف الإلهي، فكلّ ما فيه إنّما منشأه الرحمة الرحمانية والرحيمية، وبهذا الاعتبار يكون الإسلام عبارة عن الرحمة كما قالها كاتب المقالة.

إلاّ أنّ حقيقة الإسلام وماهيته وذاتياته إنّما هو التسليم كما قال ذلك جدّي أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «لأنسبنّ الإسلام نسبة لم ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو التصديق، والتصديق هو اليقين، واليقين هو الأداء، والأداء هو العمل».

وقال (عليه السلام): غاية الإسلام التسليم، وغاية التسليم الفوز بدار النعيم.

وقال الرسول الأكرم: الإسلام أن تسلّم وجهك لله عزّ وجلّ، وأن تشهد أن لا إله إلاّ الله[1].

وقال (صلى الله عليه وآله): الإسلام حسن الخلق.

وهذا يعني أنّ الإسلام هو الرحمة والاستقامة وكلمة التوحيد، والجامع لكلّ مفاهيم الإسلام هو التسليم. وإذا كان الإسلام يجمعه ويحدّده كلمة واحدة، فلماذا لا يكون كلّ القرآن في فاتحته، وكلّ ما في الحمد وأُمّ الكتاب في البسملة، وكلّ ما فيها في بائها، والإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) نقطة باء البسملة.

عزيزي القارىء:

ربما من خلال هذه المناقشة مع الشيخ المغنية (رحمه الله) أحسست بفتور وتضجّر،

1- المصدر، عن كنز العمّال، خ 39.

وتراها من الحشو والذي لا طائل تحته، ومن القيل والقال الذي يبغضه الله سبحانه، كما ورد في الخبر الرضوي الشريف: «إنّ الله يبغض القيل والقال». فتعال معي لنحلّق في آفاق عرفانية مرّة أُخرى، ونعيش في سماء معالم سورة الحمد والبسملة، ونصغي إلى ما يقوله السيد الإمام الخميني (قدس سره) في كتابه القيّم (سرّ الصلاة) في الفصل السابع في القراءة (إشارة إجمالية إلى بعض أسرار سورة الحمد)، فقال:

إعلم أنّ أهل المعرفة يعتبرون (بسم الله) بسملة كلّ سورة متعلّقة بالسورة نفسها، وعليه يكون لبسملة كلّ سورة معنى غير ما لها للسورة الأُخرى، بل إنّ بسملة كلّ قائل تختلف عن غيرها في كلّ قول وفعل.

وتوضيح هذا المطلب على نحو الإجمال هو: إنّه قد ثبت . تحقيقياً . أنّ كلّ دار التحقّق من الغاية القصوى للعقول المهيمنة القادسة إلى منتهى النهاية لحذاء العالم الهيولاني والطبيعة، هو ظهور اسم الله الأعظم، ومظهر تجلّي المشيئة المطلقة وهي أُمّ الأسماء الفعلية كما قالوا: (ظهر الوجود ببسم الله الرحمن الرحيم)، فإذا لاحظنا كثرة المظاهر والتعيّنات، فإنّ كلّ اسم عبارة عن ظهور ذلك الفعل أو القول الذي يقع بعده.

والخطوة الأُولى لسير السالك إلى الله هو أن يفهم قلبه أنّ جميع التعيّنات ظاهرة باسم الله، بل إنّها جميعاً اسم الله، وفي هذه المشاهدة تختلف الأسماء وتتبع كلّ اسم وضيقه وإحاطته وعدم إحاطته، والمظهر والمرآة التي يظهر فيها.

واسم الله وإن كان مقدماً . بحسب أصل التحقّق . على المظاهر وهو مقوّمها وقيّومها، ولكنّه بحسب التعيّن متأخّراً عنها . كما هو مقرّر في محلّه . فإذا أسقط السالك الإضافات ورفض التعيّنات ووصل إلى بداية التوحيد الفعلي، تكون جميع السور والأقوال والأفعال (بسم الله) واحدة، ويكون للجميع معنىً واحد.

وبحسب الاعتبار الأوّل، ليس هناك اسم أكثر جامعية وإحاطة من (بسم الله) في سورة الحمد، كما يظهر من الحديث المشهور المنسوب إلى مولى الموالي، ذلك لأنّ متعلّقه أكثر إحاطة من سائر المتعلّقات، مثلما يقول أهل المعارف من أنّ (الحمد) إشارة إلى العوالم الغيبية العقلية، وهي صرف الحمد لله ومحامده، ولسان حمدها لسان الذات; وأنّ (ربّ العالمين) إشارة إلى ظهور اسم الله في مرآة الطبيعة بما يناسب مقام الربوبية حيث رجع النقص إلى الكمال والملك إلى الملكوت، وهذا مختصّ بجوهر عالم الملك.

والرحمانية والرحيمية من صفات الربوبية، و (مالك يوم الدين) إشارة إلى الرجوع المطلق والقيامة الكبرى، فإذا طلع صبح الأزل، وتجلّى نور الظهور الأحدي لقلب العارف في طلوع شمس يوم القيامة، يحصل للسالك الحضور المطلق، فيصدع بالمخاطبة الحضورية في محفل الأُنس ومقام المقدس بـ (إيّاك نعبد وإيّاك نستعين).

فإذا صحا من الجذبة الأحدية وحصل «الصحو بعد المحو» يطلب . عندها . مقام الهداية في هذا السير إلى الله له ولمرافقيه.

إذن، فسورة (الحمد) هي سلسلة الوجود بكاملها، عيناً وعلماً وتحقّقاً وسلوكاً ومحواً وصحواً وإرشاداً وهداية.

والإسم المظهر لها هو اسم الله الأعظم والمشيئة المطلقة «فهو مفتاح الكتاب ومختامه (مختمه) وفاتحته وختامه» مثلما أنّ اسم الله هو الظهور والبطون والمفتاح والمختم **{اللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ}**.

فتفسير هذه السورة على ذوق (مسلك) أهل المعرفة هو بهذه الصورة:

بظهور اسم (الله) وهو مقام المشيئة المطلقة. والإسم الإلهي الأعظم

والذي له مقام المشيئة الرحمانية . وهو بسط الوجود المطلق . والمشيئة الرحيمية . وهو بسط كمال الوجود (بظهور هذا الإسم) يكون «لله» عالم الحمد المطلق وأصل المحامد . وهي من حضرة التعيّن الغيبي الأوّل إلى نهاية أُفق عالم المثال والبرزخ الأوّل . أي أنّه ثابت لمقام الاسم الجامع وهو (الله) وله مقام الربوبية وتربية العالمين وهو مقام السوائية وظهور الطبيعة.

ومقام الربوبية ظاهر بالرحمانية والرحيمية، والرحيمية هي الربوبية، حيث تبسط الفيض بالرحمانية في الموادّ المستعدّة، وتربّيها بظهور الرحيمية في المهد الهيولي وتوصلها إلى مقامها الخاصّ بها.

وذاك «مالك يوم الدين» الذي يقبض جميع ذرّات الوجود بقبضة المالكية، ويرجعها إلى مقام الغيب **{كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}**[1]، وهذا هو تمام دائرة الوجود المذكور في **{بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}** على نحو الإجمال، وفي «الحمد» بطريق التفصيل حيث هي خالصة للحقّ إلى **{مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}** كما ورد في الحديث.

فإذا شاهد العبد السالك إلى الله بمرقاة «إقرأ وارقَ»[2]، والعارج بمعراج «الصلاة معراج المؤمن» رجوع جميع الموجودات وفناء دار التحقّق في الحقّ، وتجلّى له الحقّ بالوحدانية، يقول عندئذ بلسان فطرة التوحيد **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}**.

ولأنّ نور فطرة الإنسان الكامل محيط بجميع الأنوار الجزئية; وعبادته وتوجّهه هو توجّه دار التحقق يقول ذلك بصيغة الجمع «سبّحنا فسبّحت الملائكة،

1- سورة الأعراف، الآية 29.

2- أُصول الكافي 4: 408، كتاب فضل القرآن، باب فضل حامل القرآن، الحديث العاشر.

وقدّسنا فقدّست الملائكة، ولولانا ما سبّحت الملائكة»[1].

وإذا قدّم السالك نفسه وإنّيته وأنانيّته بصورة كاملة للذات المقدّسة، ومحا ومحق كلّ ما عدا الحقّ، تشمله الألطاف الأزلية لمقام الغيب الأحديّ بالفيض الأقدس، وترجعه إلى نفسه، فيحصل له الصحو بعد المحو والرجع إلى مملكة نفسه بالوجود الحقّاني.

ولكونه وقع في الكثرة، يصبح خائفاً من الفراق والنفاق، فيطلب لنفسه الهداية، وهي الهداية المطلقة (لأنّ سائر الموجودات هي من أوراق وأغصان الشجرة المباركة للإنسان الكامل) إلى صراط الإنسانية المستقيم . وهو السير إلى الإسم الجامع والرجوع إلى حضرة اسم الله الأعظم . الخارج عن حدّي الإفراط والتفريط (المغضوب عليهم) و (الضالّين)، أو أن يطلب الهداية إلى مقام البرزخيّة وهو مقام عدم غلبة الوحدة على الكثرة ولا الكثرة على الوحدة، وهو الحدّ الوسط بين الاحتجاب عن الوحدة بحجاب الكثرة وهي مرتبة (المغضوب عليهم) وبين الاحتجاب عن الكثرة بالوحدة، وهو مقام (الضالّين) والمتحيّرين في جلال الكبرياء.

وصل:

روي في التوحيد عن الرضا (عليه السلام) حين سُئل عن تفسير البسملة، أنّه قال: «معنى قول القائل (بسم الله) أي: أَسِمُ على نفسي سمة من سمات الله وهي العبادة».

1- عوالي اللآلي 4: 122، عيون أخبار الرضا 1: 262، بحار الأنوار 25: 1، كتاب الإمامة، روايات الباب الأوّل منه، أبواب خلقهم وطينتهم وأرواحهم.

قال الراوي: فقلت له: ما السمة؟! قال: «العلامة»[1].

ويظهر من هذا الحديث الشريف أنّ على السالك أن يتحقّق مقام اسم الله في العبادة، والتحقّق بهذا المقام هو حقيقة العبودية حيث الفناء في حضرة الربوبية.

وما دام (السالك) في حجاب الإنّية والأنانية، فهو ليس في لباس العبودية، بل هو مريد لنفسه، عابد لها، ومعبوده هو أهواؤه النفسانية **{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}**[2]، ونظره هو نظر إبليس اللعين الذي رأى نفسه وآدم (عليه السلام) في حجاب الأنانية، ففضّل نفسه عليه وقال: **{خَلَقْتَنِي مِنْ نَار وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِين}**[3]، فطرد من الساحة القدسية لمقرّبي الحضرة.

فإذا جعل القائل (بسم الله) نفسه متّصفة بـ (سمة الله) و (علامة الله) ووصل هو نفسه إلى مقام الإسمية، وأصبح نظره نظر آدم (عليه السلام) الذي رأى عالم التحقّق . والذي كان هو نفسه خلاصة له . أنّه «اسم الله» **{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا}**[4]، ففي هذه الحالة تكون تسميته تسمية حقيقية، ويكون هو متحقّقاً بمقام العبادة (وهو مقام) التخلّي عن (الأنا) وعبادتها، والتعلّق بعزّ القدس والانقطاع إلى الله تحقيقاً لما ورد في ذيل حديث رزّام، عن الإمام جعفر الصادق، حيث يقول (عليه السلام): «يقطع علائق الاهتمام بغير من له قصد وإليه رفد ومنه استرفد... الخ».

فإذا تحقّق للسالك مقام الاسمية، رأى نفسه مستغرقاً في الألوهية

1- التوحيد: 229، الباب 31، الحديث 1.

2- سورة الفرقان، الآية 43.

3- سورة الأعراف، الآية 12.

4- سورة البقرة، الآية 31.

«العبودية جوهرة كنهها الربوبية»[1]، ورأى نفسه اسم الله وعلامة الله وفانياً في الله، ورأى سائر الموجودات على هذه الحالة.

وإذا أصبح الوليّ كاملا أصبح متحقّقاً بالاسم المطلق ووصل إلى التحقّق بالعبودية المطلقة فصار عبداً حقيقياً لله.

ويمكن أن يكون استخدام وصف (العبد) في الآية الكريمة **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ}**[2]، ناشئاً من كونه عروجاً . إلى معراج القرب وأُفق القدس ومحفل الأنس . (وذلك) بقدم العبودية والافتقار وإزاحة غبار (الإنّية) و (الأنا) والاستقلال.

(كما أنّ) الشهادة بالرسالة للنبيّ في التشهّد وبعد الشهادة بعبوديّته له (صلى الله عليه وآله)هي لكون العبودية مرقاة الرسالة.

والصلاة . هي معراج المؤمنين ومظهر معراج النبوّة . يكون البدء بها بعد رفع الحجب بـ (بسم الله) وذاك هو حقيقة العبودية (فسبحان الذي أسرى بنبيّه بمرقاة العبودية المطلقة) حيث جذبه (الحقّ) بقدم العبودية إلى أُفق الأحدية، وحرّره من مملكة الملك والملكوت، ومملكة الجبروت واللاهوت، وأصل سائر العباد . المستظلّين بظلّ ذلك النور الطاهر (النبيّ) . إلى معراج القرب بسمة من سمات الله وبمرقاة التحقّق باسم الله حيث إنّ باطن ذلك هو العبودية.

وإذا رأى السالك بقدر قدمه في السلوك أنّ دائرة الوجود هي اسم الله، أمكنه عندئذ أن يرد في فاتحة كتاب الله ويكون مفتاح كنز الله، وحينئذ يرجع

1- مصباح الشريعة، الباب 100.

2- سورة الإسراء، الآية 1.

كلّ ثناء وكلّ المحامد إلى الحقّ بمقام الاسم الجامع، فلا يرى لأيّ من الموجودات فضلا ولا فضيلة، لأنّ إثبات فضيلة أو كمال لموجود . سوى الحقّ . يناقض رؤية «الإسمية».

وإذا قال: (بسم الله) على الحقيقة (بصدق)، أمكنه عندئذ أن يقول: (الحمد لله) على الحقيقة (بصدق أيضاً).

أمّا إذا ظلّ محجوباً عن (مقام الإسم) وكان . مثل إبليس . في حجاب (الخلق) فلا يمكنه . والحال هذه . أن يُرجع المحامد للحقّ.

وما دام في حجاب الأنانية، فهو محجوب عن العبودية و (مقام) الإسمية، وما دام محروماً من هذا المقام، فلن يصل إلى مقام (الحامدية).

وإذا وصل إلى مقام (الحامدية) بقدم العبودية وحقيقة الإسمية، عرف حينئذ أنّ صفة الحامدية ثابتة للحقّ أيضاً، فيعتبر ويرى أنّ الحقّ هو الحامد وهو المحمود.

ولكنّه ما دام يرى نفسه الحامد، والحقّ هو المحمود، فليس هو حامد للحقّ، وإنّما حامد للحقّ والخلق، بل إنّه حامد لنفسه فقط، ومحجوب عن الحقّ وحمده.

وإذا وصل إلى مقام (الحامدية)، كان عندئذ قوله: (أنت كما أثنيت على نفسك)، فيخرج من حجاب (الحامدية) المقرون بالجدال، والملازم لإثبات (المحمودية)، وحينئذ تكون مقالة السالك في هذا المقام هي على هذا النحو (باسمه الحمد له، منه الحمد وله الحمد).

وهذه هي ثمرة التقرّب بالنوافل، وقد وردت إشارة إليها في الحديث (القدسي) الشريف: «فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه... الخ».

(ربّ العالمين) إذا كان (العالمون) هم صور الأسماء، وهي الأعيان الثابتة، فإنّ الربوبية تكون ذاتية، وتكون راجعة إلى مقام (الألوهية الذاتية) حيث اسم الله

الأعظم، وذلك لأنّ الأعيان الثابتة إنّما تحقّقت . بالتحقّق العلمي . من خلال التجلّي الذاتي في مقام (الواحدية) تبعاً للاسم الجامع المتعيّن بتجلّي الفيض الأقدس.

ومعنى الربوبية في ذلك المقام المقدّس هو: التجلّي بمقام الألوهية، وبهذا التجلّي يكون تعيّن جميع الأسماء، فتتعيّن أوّلا العين الثابتة للإنسان الكامل، ثمّ تكون الأعيان الأُخرى في ظلّه.

و (بـ) الرحمانية والرحيمية يكون إظهار هذه الأعيان من غيب الهوية إلى أُفق الشهادة المطلقة، و (بهما يكون) إيداع فطرة العشق والمحبّة للكمال المطلق في خميرة تلك الأعيان.

وبتلك الفطرة العشقية السابقة، وبتلك الجذبة القهرية المالكة التي تأخذ بناصيتها (الأعيان)، فتصل إلى مقام (الجزاء المطلق)، حيث الاستغراق في بحر كمال الواحدية **{أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ}**(1).

وبهذه الطريقة تكون الذات المقدّسة هي غاية آمال الموجودات ونهاية تحرّكها، ومنتهى مختلف أشكال اشتياقها ومرجعها، ومعشوقة الكائنات ومحبوبة العشّاق ومطلب المجذوبين، حتّى إنّهم وإن كانوا محجوبين عن هذا المطلوب، ويرون أنفسهم عبّاداً وعشّاقاً وطلاّباً ومجذوبين لأُمور أُخرى.

وهذا هو حجاب الفطرة الأكبر، الذي يجب على السالك إلى الله أن يخرقه بقدم معرفته، وما دام لم يصل إلى هذا المقام، فلا يحقّ له أن يقول: «إيّاك نعبد»، يعني (لا نطلب إلاّ إيّاك)، ولا نبحث عن سواك، ولا نريد غيرك، ولا نثني على سواك، ولا نستعين إلاّ بك في جميع الأُمور.

1- سورة الشورى، الآية 53.

إنّنا جميعاً . سلسلة الموجودات وذرّات الكائنات، من أدنى مرتبة سفلية المادة، إلى أعلى مرتبة غيب الأعيان الثابتة . طلاّباً للحقّ وباحثون عنه (وكلّ منّا وفي كلّ مطلوب، إنّما يطلبه هو وإنّما يتأجّج عشقاً له مع أي محبوب {فِطْرَةَ اللهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها}[1]، {يُسَبِّحُ لَهُ ما في السَّماواتِ وَالأرْضِ}.

فإذا حصلت للسالك هذه المشاهدة، ورأى جميع كيانه وأجزائه الوجودية . من القوى الملكية إلى السرائر الغيبية . بل رأى جميع سلسلة الوجود، عاشقةً للحقّ طالبة له، وأظهر هذا العشق والمحبّة، عندها يستعين بالحقّ للوصول، ويطلب منه الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو صراط ربّ الإنسان {إنَّ رَبّي عَلى صِراط مُسْتَقِيم}[2]، وهذا هو صراط (المنعم عليهم) من الأنبياء الكمّل والصدّيقين، وهو عبارة عن (صراط) رجوع العين الثابتة إلى مقام الله والفناء فيه. وليس الفناء في الأسماء الأُخرى الواقعة في حدود القصور والتقصير، وينسب إلى الرسول الأكرم أنّه قال: «كان أخي موسى عينه اليمنى عمياء، وأخي عيسى عينه اليسرى عمياء، وأنا ذو العينين»، فالتكثّرات كانت غالبة على الوحدة لدى موسى (عليه السلام)، فيما الوحدة كانت غالبة على التكثّر لدى عيسى (عليه السلام)، أمّا الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله)، فلقد كان له مقام البرزخية الكبرى، وهو الحدّ الوسط والصراط المستقيم.

وإلى هنا، فإنّ تفسير السورة مستند إلى القول بأنّ (العالمين) هم حضرات الأعيان.

1- سورة الروم، الآية 30.
2- سورة هود، الآية 54.

أمّا إذا كان (العالمون) هم حضرات الأسماء الذاتية، أو الأسماء الصفاتية، أو الأسماء الفعلية، أو العوالم المجرّدة، أو العوالم المادّية، أو كليهما أو جميعها، فإنّ تفسير السورة يختلف تبعاً لذلك عمّا تقدّم.

كما أنّه لو كان (اسم الله) في الآية الكريمة {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}غير مقام المشيئة، مقام آخر من (مقامات) الأسماء الذاتية وغيره من الأعيان الثابتة أو الأعيان الموجودة أو العوالم الغيبية أو الشهادتية أو الإنسان الكامل، فإنّ تفسير كامل السورة يختلف أيضاً، كما يختلف (تفسير الآية) أيضاً إذا كان (الله) هو (مقام) الأُلوهية الذاتية أو الظهورية، وفيما إذا كان (الرحمن الرحيم) في البسملة صفتين متعلّقتين بـ (الله) أو بالإسم، كما يظهر الكثير من الفروق (في تفسير الآية) إذا كانت (الباء) في البسملة هي للاستعانة عمّا إذا كانت للملابسة أو فيما إذا كانت متعلّقة بـ (ظهر) عمّا إذا كانت متعلّقة بالسورة نفسها أو أيّ من أجزائها.

كما إنّه سيختلف تفسير الآية بحسب مقامات القارئين من الوقوع في حجاب الكثرة أو غلبة الوحدة أو الصحو بعد المحو أو المقامات الأُخرى التي تقدّم ذكرها.

والإحاطة بجميع ذلك وبالتفسير الحقيقي للقرآن . وهو الكلام الإلهي الجامع . خارج عن وسع أمثال الكاتب «إنّما يعرف القرآن من خوطب به»[1]، وما ذكر هو على سبيل الاحتمال والله الهادي.

1- بحار الأنوار 46: 349، تأريخ الإمام محمد الباقر، الباب 20، الحديث 2.

نقطة باء البسملة

جاء في كتاب (مدارك التنزيل) أنّ الكتب التي أنزلها الله من السماء إلى الدنيا لهداية الناس وإرشادهم إلى السعادة الأبدية، إنّما هي مئة وأربعة كتب: صحف شيث (عليه السلام) ستّون، وصحف إبراهيم (عليه السلام) ثلاثون، وصحف موسى قبل التوراة عشرة، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان. ومعاني كلّ الكتب مجموعة في الفرقان، ومعاني كلّ الفرقان . أي: القرآن الكريم . مجموعة في الفاتحة، ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة، ومعاني البسملة مجموعة في بائها، ومعاني الباء في نقطتها[1].

وروى الشعراني: عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرّم وجهه أنّه كان يقول: لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بعيراً من معنى (الباء)[2].

وروى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة) ما لفظه: وفي الدرّ المنظم: إعلم أنّ جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي تحت الباء، قال الإمام علي كرّم الله وجهه: أنا النقطة التي تحت الباء.

وقال أيضاً: العلم نقطة كثّرها الجاهلون، والألف وحدة عرفها الراسخون[3].

وعن ابن الآلوسي البغدادي في جلاء العينين ما لفظه: في حقّ علي (عليه السلام)،

1- تفسير البصائر 1: 24.

2- لطائف المنن 1: 171، طبعة مصر.

3- ينابيع المودّة: 69 و 408، طبعة إسلامبول.

هو باب العلم والنقطة تحت الباء.

ويروي لنا ابن عبّاس، حبر الأمّة وتلميذ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في التفسير أنّه: أخذ بيدي علي (عليه السلام) ليلة، فخرج بي إلى البقيع، وقال: إقرأ يا ابن عباس، فقرأت: **{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}**، فتكلّم في أسرار الباء إلى بزوغ الفجر[1].

وقال أيضاً: يشرح لنا علي (رضي الله عنه) نقطة الباء من **{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}** ليلة، فانفلق عمود الصبح وهو بعد لم يفرغ، فرأيت نفسي في جنبه كالفوّارة في جنب البحر المتلاطم[2].

وجاء في مطالب السؤول ما لفظه: قال علي (رضي الله عنه) مرّة: لو شئت لأوقرت بعيراً من تفسير **{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}**[3].

روى النبهاني في الشرف المؤبد عن ابن عباس، قال: قال لي علي (عليه السلام): يا بن عباس، إذا صلّيت العشاء الآخرة فالحق الجبانة، قال: فصلّيت ولحقته، وكانت ليلة مقمرة، قال: فقال لي: ما تفسير الألف من الحمد؟ قلت: لا أعلم، فتكلّم فيها ساعة تامة، ثمّ قال: ما تفسير الميم من الحمد؟ قال: قلت: لا أعلم، قال: فتكلّم

في تفسيرها ساعة كاملة، قال: فما تفسير الدال من الحمد؟ قال: قلت: لا أدري، فتكلّم فيها إلى أن بزغ عمود الفجر، قال: وقال لي: قم يا بن عباس إلى منزلك فتأهّب لغرضك، فقمت وقد وعيت ما قال. ثمّ تفكّرت فإذا علمي بالقرآن في علم علي كالقرارة في المثعنجر. قال: القرارة: الغدير الصغير.

1- ينابيع المودّة: 408.

2- الحنفي في أرجح المطالب: 113، طبعة لاهور.

3- محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: 26، طبعة طهران.

والمثعنجر: البحر[1].

روى الحافظ ابن عبد البرّ، بإسناده، عن عبد الله بن عباس، قال: والله لقد أُعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العُشر العاشر[2].

هذا من طرق العامة، وهناك أيضاً المئات من الروايات والأخبار التي تشير إلى أنّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) هو أعلم خلق الله بعد رسول الله محمد، وأنّه عنده علم الكتاب، وهو القرآن الناطق وترجمانه، وهو القائل (عليه السلام): سلوني قبل أن تفقدوني فإنّي أعلم بطرق السماء من علمكم بطرق الأرض، وقال: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقّني رسول الله زقّاً زقّاً، سلوني فإنّ عندي علم الأوّلين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتّى تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتّى ينطق الإنجيل فيقول: صدق عليّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ. وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتّى ينطق القرآن فيقول: صدق عليّ ما كذب لقد أفتاكم بما أُنزل فيّ. وأنتم تتلون القرآن ليلا ونهاراً، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه، ولولا آية في كتاب الله عزّ وجلّ لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: **{يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعَنْدَهُ**

1- الشرف المؤبد: 58، طبعة مصر.

2- الاستيعاب 2: 462، طبعة حيدر آباد، كما رواه الطبري في كتابه ذخائر العقبى، وابن الأثير في أسد الغابة، والسيوطي في تأريخ الخلفاء، والخوارزمي في المناقب، وغيرهم.

أُمُّ الكِتابِ}، ثمّ قال (عليه السلام): سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي خلق الحبّة وبرء النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليلة نزلت، أو في نهار أُنزلت، مكيّها ومدنيّها، سفريها وحضريّها، ناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، إلاّ أخبرتكم. فقام إليه رجل يقال له: ذعلب، وكان ذرب اللسان بليغاً في الخطب شجاع القلب، فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لأُخجلنّه اليوم لكم في مسألتي إيّاه، فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك؟ فقال (عليه السلام): ويلك يا ذعلب لم أكن بالذي عبد ربّاً لم أره، قال: فكيف رأيته؟ صفه لنا؟ قال: ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. ويلك يا ذعلب، إنّ ربّي لا يوصف بالبُعد ولا بالحركة ولا بالسكون ولا بقيام قيامَ انتصاب ولا بجيئة ولا بذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف

باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبر لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقّة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسّة، قائل لا بلفظ، هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كلّ شيء ولا يقال شيء فوقه، أمام كلّ شيء ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج، فخرّ عليه ذعلب مغشياً عليه، ثمّ قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدتُ إلى مثلها[1].

فعلي (عليه السلام) وأهل بيته الأئمة الأطهار (عليهم السلام) هم صراط الله الأقوم وسفينة

1- تفسير البصائر 1: 187، عن أمالي الصدوق، بإسناده، عن الأصبغ بن نباتة، قال: لمّا جلس علي (عليه السلام) في الخلافة وبايعه الناس، خرج إلى المسجد متعمّماً بعمامة رسول الله، لابساً بردة رسول الله، متنعلا نعل رسول الله، متقلّداً سيف رسول الله، فصعد المنبر، فجلس عليه متحنّكاً، ثمّ شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه، ثمّ قال: يا معشر الناس... الحديث.

النجاة، مَن ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوى، كما ورد في الخبر المتواتر عند الفريقين . السنّة والشيعة . فما بعد الحقّ إلاّ الضلال.

وكلّ ما في القرآن الكريم إنّما هو عند أهل البيت (عليهم السلام) بصريح ما جاء في حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين لقوله (صلى الله عليه وآله): «لن يفترقا»، ولن للتأبيد بمعنى أنّه أبداً في كلّ شيء لن يفترقا إلى يوم القيامة، فلا نقول كما قال الرجل: حسبنا كتاب الله، ولا نقول كما قالوا حسبنا أهل البيت، بل نتمسّك بهما معاً.

ثمّ كلّ ما في القرآن هو في حمده، وكلّ ما في سورة الحمد في البسملة، وكلّ ما في البسملة في بائها، وعلي (عليه السلام) هو نقطة الباء، كما ذكرنا لك الروايات من طرق العامة.

وأمّا عند الخاصّة:

فقد جاء ذلك أيضاً في كتاب (الأنوار النعمانية)[1] عندما يتحدّث الكاتب آية الله العظمى السيد نعمة الله الجزائري المتوفّى سنة 1112 هـ عن فضائل أمير المؤمنين وأنّه أفضل خلق الله بعد رسوله محمد (صلى الله عليه وآله)، فقال: وأمّا قوله: ومنها علم التفسير . أي: أنّه (عليه السلام) أعلم الناس بعلم التفسير . إلى آخره، فقد تحقق في الأخبار من العامة والخاصة أنّ قوله تعالى: **{وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إمامٍ مُبِين}**، المراد به علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو الذي فسّر الباء من **{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}** لابن عبّاس فقال: يا ابن عباس لو طال الليل لطلناه.

وفي الروايات الخاصّة . أقول: بل العامّة، كما مرّ . عنه (عليه السلام) أنّه قال: «علم ما كان وما يكون كلّه في القرآن الكريم، وعلم القرآن كلّه في سورة الفاتحة،

1- الأنوار النعمانية 1: 47.

وعلم الفاتحة كلّه في البسملة منها، وعلم البسملة كلّه في بائها، وأنا النقطة تحت الباء». وهذا الحديث من مشكلات الأخبار، وأكثر الإشكال إنّما هو في قوله: «وأنا النقطة تحت الباء»، ويحتمل أن يكون معناه أنّي أُبيّن

علوم القرآن وأُوضح مجملاتها، كما أنّ نقطة الباء توضّحه وتميّز عمّا يشاركه في الصورة كالتاء المثناة والثاء المثلثة، ويحتمل معان كثيرة لا يخفى بعضها على أُولي الألباب. والحاصل أنّ العلوم كلّها تنتهي إليه ولم يؤخذ علم إلاّ منه، والعلماء كلّهم تلاميذه... ثمّ يذكر تفصيل ذلك، فراجع.

وقد رأيت الحديث الشريف في كتاب (مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين)(1) للحافظ الشيخ رضي الدين رجب البرسي، وقد عدّه بعض علمائنا

1- قال الحافظ رجب البرسي الحلي في كتابه مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين (عليه السلام): وأمّا علم النقط والدوائر فهو من أجلّ العلوم وغوامض الأسرار، لأنّ منتهى الكلام إلى الحروف ومنتهى الحروف إلى الألف ومنتهى الألف إلى النقطة، والنقطة عندهم عبارة عن نزول الوجود المطلق الظاهر بالباطن، ومن الابتداء بالانتهاء يعني ظهور الهوية التي هي مبدأ الوجود التي لا عبارة لها ولا إشارة ـ الصفحة 25.

وسرّ الله مودع في كتبه وسرّ الكتب في القرآن، لأنّه الجامع المانع، وفيه تبيان كلّ شيء، وسرّ القرآن في الحروف المقطّعة في أوائل السور، وعلم الحروف في لام ألف، وهو الألف المعطوف المحتوي على سرّ الظاهر والباطن، وعلم اللام ألف في الألف، وعلم الألف في النقطة، وعلم النقطة في المعرفة الأصلية، وسرّ القرآن في الفاتحة، وسرّ الفاتحة في مفتاحها، وهي بسم الله، وسرّ البسملة في الباء، وسرّ الباء في النقطة . الصفحة 27.

<=

=>

والفاتحة هي سورة الحمد وأُمّ الكتاب، وقد شرّفها الله تعالى في الذكر فأفردها وأضاف القرآن إليها، فقال عزّ اسمه: (وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ المَثانِيَ وَالقُرْآنَ العَظِيمَ)، فذكرها إجمالا وإفراداً، وذلك لتشرّفها، وهذا مثل قوله: (حافِظُوا عَلى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطى)، أدخلها إجمالا وأفردها إجلالا.

وسورة الحمد فيها اسم الله الأعظم عن يقين، وعدد آياتها (7) وهي العدد الكامل، ومن العدد الكامل يظهر جذر العشرة، وهو ضرب السنة في أيّام الأُسبوع ومبلغه (2520)، وهو عدد له نصف وثلث وربع وخمس وسدس وسبع وثمن وتسع وعشر، وعدد كلمات أمّ الكتاب مع البسملة (29) كلمة، وعدد السور المتوجة بالحروف المقطّعة (29) سورة، وعدد أيام الشهر (29) يوماً، فأخذ منها الألف كانت (28) بعدد منازل القمر، وإذا قسمت كان منها للأفلاك (9) وللبروج (12) وللعناصر (4) وللمواليد (3) فهذه ثمانية وعشرون بعدد حروف المعجم، وعدد حروف الفاتحة (324) وأعداد حروفها (9361) وسائر أعدادها تنقسم إلى الفردانية، وتشير إليها وتنقسم بأعداد الاسم الأعظم قسمين ظاهر وباطن.

نهاية الحروف النقطة، فتناهت الأشياء بأسرها إلى النقطة ودلّت عليها، ودلّت النقطة على الذات، وهذه النقطة هي الفيض الأوّل الصادر عن ذي الجلال المسمّى في أُفق العظمة والجمال بالعقل الفعّال وذلك هو الحضرة المحمدية، فالنقطة هي نور الأنوار وسرّ الأسرار، كما قال أهل الفلسفة: النقطة هي الأصل والجسم حجاب والصورة حجاب الجسم والحجاب غير الجسد الناسوتي، دليله: من صريح الآيات قوله: (اللهُ نُورُ السَّماواتِ) معناه منوّر السماوات، فالله اسم للذات والنور من صفات الذات والحضرة المحمدية صفة الله وصفوته، صفته في عالم النور وصفوته في عالم الظهور، فهي النور الأوّل الإسم البديع الفتّاح (قَوْلُهُ الحَقُّ)

أوّل ما خلق الله نوري (وقوله) أنا الله وكلّ منّي. وقوله (ممّا رواه أحمد ابن حنبل): كنت وعلي نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربع عشر سنة فمحمد

<=

=>

وعلي حجاب الحضرة الإلهية ونوّابها وخزّان أسرار الربوبية وبابها...

فإذا استقرينا الموجودات فإنّها تنتهي إلى النقطة الواحدة التي صفة الذات وعلّة الموجودات ولها في التسمية عبارات فهي العقل من قوله: «أوّل ما خلق الله العقل»، وهي الحضرة المحمدية من قوله: «أوّل ما خلق الله نوري»، ومن حيث إنّها أوّل الموجودات صادرة عن الله تعالى بغير واسطة سمّيت العقل الأوّل، ومن حيث إنّ الأشياء تجد منه قوّة التعقيل سمّي العقل الفعّال، ومن حيث إنّ العقل فاض منه إلى جميع الموجودات فأدركت به حقائق الأشياء سمّي عقل الكلّ، فعلم بواضح البرهان أنّ الحضرة المحمدية هي نقطة النور وأوّل الظهور وحقيقة الكائنات ومبدأ الموجودات وقطب الدائرات، فظاهرها صفة الله وباطنها غيب الله، فهي ظاهر الاسم الأعظم وصورة سائر العالم وعليها مدار من كفر وأسلم، فروحه نسخة الأحدية في اللاهوت وجسده صورة معاني الملك والملكوت، وقلبه خزانة الحيّ الذي لا يموت، وذلك لأنّ الله تعالى تكلّم في الأوّل بكلمة فصارت كلمته ونوره وروحه وحجابه، وسريانها في العالم كسريان النقطة في الحروف والأجسام وسريان الواحد في الأعداد وسريان الألف في الكلام وسريان الإسم المقدّس في الأسماء فهي مبدأ الكلّ وحقيقة الكلّ، فكلّ ناطق بلسان الحال والمقال فإنّه شاهد لله بالوحدانية الأوّلية ولمحمد وعلي بالأُبوّة والملكية، دليله قوله (صلى الله عليه وآله): أنا وعلي أبَوا هذه الأمّة...

فعلم أنّ الفيض الأوّل عن حضرة الأحدية هي النقطة الواحدة وعنها ظهر الف الغيب (القلب خ ل) وامتدّ حتّى صار خطه وهو مركب من ثلاث نقط... قال (عليه السلام): عن الباء ظهر الوجود وبالنقطة تبين العابد عن المعبود، وقال حكيم: بالباء عرفه العارفون...

وإلى هذا السرّ إشارة من كلامه البليغ في نهج البلاغة فقال: «وهو يعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى»، وهذه إشارة إلى أنّه (عليه السلام) غاية الفخار ومنتهى الشرف وذروة العزّ وقطب الوجود وعين الوجود وصاحب الدهر ووجه الخلق وجنب العلى فهو القطب الذي دار به كلّ دائر وسار به كلّ سائر لأنّ سريان الوليّ في العالم كسريان الحقّ في العالم... والنقطة التي أُدير عليها بركار النبوّة فهي حقيقة كلّ موجود فهي باطن الدائرة والنقطة السارية السائرة التي بها ارتباط سائر العوامل...

من الغلاة، إلاّ أنّ العلاّمة الأميني (قدس سره) يدافع عنه ويرفع هذه التهمة عن ساحته في كتابه القيّم[1]، فقال: الحافظ الشيخ رضي الدين رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلّي، من عرفاء علماء الإمامية وفقهائها المشاركين في العلوم، على فضله الواضح في فنّ الحديث وتقدّمه في الأدب وقرض الشعر وإجادته وتضلّعه من علم الحروف وأسرارها واستخراج فوائدها، وبذلك كلّه تجد كتبه طافحة بالتحقيق ودقّة النظر، وله في العرفان

والحروف مسالك خاصّة، كما أنّ له في ولاء أئمة الدين (عليهم السلام) آراء ونظريات لا يرتضيها لفيف من الناس، ولذلك رموه بالغلوّ والارتفاع، غير أنّ الحقّ أنّ جميع ما يثبته المترجم لهم (عليهم السلام) من الشؤون هي دون مرتبة الغلوّ وغير درجة النبوّة، وقد جاء عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)قوله: إيّاكم والغلوّ فينا، قولوا: إنّا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): إجعل لنا ربّاً نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم. وقال (عليه السلام): إجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا(2).

وأنّى لنا البلاغ مدية ما منحهم المولى سبحانه من فضائل ومآثر؟ وأنّى لنا الوقوف على غاية ما شرّفهم الله به من ملكات فاضلة ونفسيّات نفيسة وروحيات قدسية وخلائق كريمة ومكارم ومحامد؟ فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام؟ أو يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات، ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب،

1- الغدير 7: 33.

2- لقد ذكرت براهين صحّة هذا المعنى في (جلوة من ولاية أهل البيت (عليهم السلام))، فراجع.

وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحضرت الخطباء، وجهلت الألبّاء، وكلّت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، وفضيلة من فضائله، وأقرّت بالعجز والتقصير، فكيف يوصف بكلّه؟ أو ينعت بكنهه؟ أو يفهم شيء من أمره؟ أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه؟ لا كيف؟ وأنّى؟ فهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟

ولذلك تجد كثيراً من علمائنا المحققين في المعرفة بالأسرار يثبتون لأئمة الهدى صلوات الله عليهم كلّ هاتيك الشؤون وغيرها ممّا لا يتحمّله غيرهم، وكان في علماء قم من يرمي بالغلوّ كلّ من روى شيئاً من تلكم الأسرار حتّى قال قائلهم: إنّ أوّل مراتب الغلوّ نفي السهو عن النبي (صلى الله عليه وآله)، إلى أن جاء بعدهم المحقّقون وعرفوا الحقيقة، فلم يقيموا لكثير من تلكم التضعيفات وزناً، وهذه بليّة مُني بها كثيرون من أهل الحقائق والعرفان ومنهم المترجم، ولم تزل الفئتان على طرفي نقيض وقد تقوم الحرب بينهما على أشدّها، والصلح خير.

وفذلكة المقام: أنّ النفوس تتفاوت حسب جبلاّتها واستعداداتها في تلقّي الحقائق الراهنة، فمنها ما تبهظه المعضلات والأسرار، ومنها ما ينبسط لها فيبسط إليها ذراعاً ويمدّ لها باعاً، وبطبع الحال إنّ الفئة الأُولى لا يسعها الرضوخ لما لا يعلمون، كما إنّ الآخرين لا تبيح لهم المعرفة أن يذروا ما حقّقوه في مدحرة البطلان، فهنالك تثور المنافرة وتحتدم الضغائن، ونحن نقدّر للفريقين مسعاهم لما نعلم من نواياهم الحسنة وسلوكهم جدد السبيل في طلب الحقّ، ونقول:

على المرء أن يسعى بمقدار جهده وليس عليه أن يكون موفّقاً

إلاّ أنّ الناس معادن، كمعادن الذهب والفضّة، وقد تواتر عن أئمة

أهل البيت (عليهم السلام): أنّ أمرنا ـ أو: حديثنا ـ صعب مستصعب لا يتحمّله إلاّ نبيّ مرسل أو مَلَك مقرّب أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان. إذن فلا نتحرّى وقيعة في علماء الدين، ولا نمسّ كرامة العارفين، ولا ننقم من أحد عدم بلوغه إلى مرتبة من هو أرقى منه، إذ لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها، وقال مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام): لو جلست أُحدّثكم ما سمعت من فم أبي القاسم (صلى الله عليه وآله) لخرجتم من عندي وأنتم تقولون: إنّ علياً من أكذب الكاذبين.

وقال إمامنا السيد السجّاد (عليه السلام): لو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بينهما، فما ظنّكم بسائر الخلق، وكلاّ وَعَدَ الله الحسنى، وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً.

ثمّ يذكر العلاّمة الأميني ما قاله السيد الأمين في أعيان الشيعة من إنكاره الحافظ البرسي وأنّه من الغلاة، فيناقشه، ثمّ يذكر مؤلّفات الحافظ وجملة من شعره الرائق في مدح أهل البيت (عليهم السلام)، فراجع.

فكما إنّ الإيمان درجات، وفي بعض الروايات تبلغ إلى أربعمائة درجة، كذلك المعرفة بالله ورسوله وأهل بيته، فإنّ المعرفة من الكلّي المشكّك له مراتب في القوّة والضعف، ولو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان من المعارف الحقّة والأنوار القدسية في عظمة أهل البيت وأسرار أمير المؤمنين لقتله، أو قال رحم الله قاتل سلمان. وقد آخا بينهما رسول الله فما ظنّكم بسائر الناس.

فإذا اعتقدنا أنّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عنده علم الأوّلين والآخرين بعد رسول الله، وذلك بعناية من ربّه، فإنّه عيبة علمه، فهو يعلم كلّ ما في القرآن الكريم، وهو نقطة باء البسملة، فليس ذلك من الغلوّ، بل هذا من أدنى المعرفة بأسرار أمير المؤمنين، وما عرفه إلاّ الله ورسوله، كما قاله النبيّ الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله)،

فحديث النقطة جاء في كتاب الحافظ البرسي (مشارق أنوار اليقين) كما جاء في غيره.

أجل:

حديث النقطة يعدّ من الأحاديث الصعبة المستصعبة التي لا يتحمّلها إلاّ مَلَك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان، فإنّه يعتبر من أسرار آل محمد (عليهم السلام)، وإنّه رشحة من رشحات سرّ الولاية العلوية، ولاية أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، حصن الله الحصين الذي مَن دخله كان آمناً، كما مَن دخل حصن التوحيد وكلمة (لا إله إلاّ الله) كان آمناً من عذاب الله سبحانه وخزي الدنيا والآخرة، ومن كلّ شين وألم وسقم وأمراض روحية، ومن الصفات الرذيلة والأخلاق المذمومة.

فحديث النقطة بحر زاخر متلاطم الأمواج، وقمر زاهر متلألىء الأفواج، وشمس مضيئة، وكواكب زاهية في سماء العلم والفضيلة، يعجز القلم عن بيانه ويكلّ اللسان عن تبيانه.

ولكنّ ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه، والميسور لا يسقط بالمعسور، وبداية مسيرة ألف ميل خطوة، فلنغترف من عذب مناهل حديث النقطة غرفة، عسى أن نروي أكباداً حرّى ونفوساً متعطّشة لمعرفة الحقائق وكسب المعارف الإلهية.

فالروايات ـ من السنّة والشيعة ـ التي تشير إلى أنّ كلّ العلوم والفنون والمعارف والحقائق من الأوّلين والآخرين، وأسرار الكون، وعلم الله سبحانه بعد الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله)، إنّما هي عند مولى

الموحّدين، وإمام المتّقين، وأمير المؤمنين، وقائد الغرّ الميامين، وسيد الأوصياء المنتجبين، أخ الرسول، وزوج البتول، وأبي السبطين: الحسن والحسين، ذلك أسد الله ورسوله وخليفته

ووصيّه، مولانا وطبيب نفوسنا وحبيب قلوبنا، إمام الهدى، علي بن أبي طالب المرتضى، عليه وعلى ابن عمّه رسول الله وأهل بيتهم أفضل صلوات المصلّين.

فلا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين، أي إمام حقٍّ ظاهر البرهان وتامّ البيان، وقد علّمه الله سبحانه علم ما كان وعلم ما يكون وما هو كائن، وقد زقّه النبيّ ذلك العلم زقّاً، وعلّمه ألف باب من العلم ينفتح من كلّ باب ألف باب.

ثمّ العلم والخير والحقّ كلّه في القرآن الكريم، وكلّ ما في القرآن هو في سورة الحمد . كما مرّ بيان ذلك إجمالا .، وكلّ ما في الحمد إنّما هو في البسملة، وكلّ ما في البسملة إنّما هو في الباء، وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) وروحي فداه هو نقطة باء البسملة.

وأمّا بيان ذلك فنشير إلى بعض الوجوه على نحو الاجمال والإشارة . والحرّ اللبيب تكفيه الإشارة . وربّما بعض النفوس لقصورها أو تقصيرها لا تستوعب ذلك فتنكر تلك المعاني السامية وربّما تعاديها . فإنّ الناس أعداء ما جهلوا .، ولكنّ المنصف العاقل يستمع القول فيتّبع أحسنه، وما لا يستوعبه يردّه إلى أهله...

الأوّل . قال الله تعالى في كتابه الكريم: **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ}**(1).

الآية الشريفة وما بعدها تذكر الميثاق من بني آدم على الربوبية، وهي

1- سورة الأعراف، الآية 172.

من أدقّ الآيات القرآنية معنىً وأعجبها نظماً.

وقد تعرّض كثير من العلماء الأعلام إلى تفسيرها وبيانها، وللعلاّمة الطباطبائي في تفسيره القيّم (الميزان) تحقيق ظريف ومطالب قيّمة في هذا الباب(1).

وجاء فيه: قوله: **{وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}** ينبىء عن فعل آخر إلهيّ تعلّق بهم بعد ما أخذ بعضهم من بعض وفصل بين كلّ واحد منهم وغيره، وهو إشهادهم على أنفسهم. والإشهاد على الشيء هو إحضار الشاهد عنده وإراءته حقيقته، ليتحمّله علماً تحمّلا شهودياً، فإشهادهم على أنفسهم هو إراءتهم حقيقة أنفسهم ليتحمّلوا ما أُريد تحمّلهم من أمرها، ثمّ يؤدّوا ما تحمّلوه إذا سُئلوا.

ثمّ يقول: فالإنسان في أي منزل من منازل الانسانية نزل، يشاهد من نفسه أنّ له ربّاً يملكه ويدبّر أمره، وكيف لا يشاهد ربّه وهو يشاهد حاجته الذاتية؟ وكيف يتصوّر وقوع الشعور بالحاجة من غير شعور بالذي يحتاج إليه؟ فقوله: **{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}** بيان ما أُشهد عليه، وقوله: **{قالُوا بَلى شَهِدْنا}** اعتراف منهم بوقوع الشهادة وما شهدوه، ولذا قيل: إنّ الآية تشير إلى ما يشاهده الإنسان في حياته الدنيا أنّه محتاج في جميع جهات حياته من وجوده وما يتعلّق به وجوده من اللوازم والأحكام، ومعنى الآية: أنّا خلقنا بني آدم في الأرض وفرّقناهم وميّزنا

بعضهم من بعض بالتناسل والتوالد، وأوقفناهم على احتياجهم ومربوبيتهم لنا فاعترفوا بذلك قائلين: بلى شهدنا أنّك ربّنا.

ثمّ يقول (قدس سره): وقد طرح القوم عدّة من الروايات تدلّ على أنّ الآيتين تدلاّن على عالم الذرّ، وأنّ الله أخرج ذرية آدم من ظهره، فخرجوا كالذرّ،

1- راجع الميزان 9: 306 ـ 331.

فأشهدهم على أنفسهم، وعرّفهم نفسه، وأخذ منهم الميثاق على ربوبيته، فتمّت بذلك الحجّة عليهم يوم القيامة. وقد ذكروا وجوهاً في إبطال دلالة الآيتين عليه، وطرح الروايات بمخالفتها لظاهر الكتاب.

فيذكر السيد وجوهاً ستة، ثمّ يقول: هذه جملة ما أوردوه على دلالة الآية وحجية الروايات، وقد زيّفها المثبتون لنشأة الذرّ، وهم عامة أهل الحديث وجمع من غيرهم من المفسّرين بأجوبة.

فيذكر أجوبة الوجوه الستة، ويقول: هذا ملخّص ما جرى بينهم من البحث في ما استفيد من الآية من حديث عالم الذرّ إثباتاً ونفياً، واعتراضاً وجواباً، واستيفاء التدبّر في الآية والروايات، والتأمّل فيما يرومه المثبتون بإثباتهم ويدفعه المنكرون بإنكارهم يوجب توجيه البحث إلى جهة أُخرى غير ما تشاجر فيه الفريقان بإثباتهم ونفيهم.

فيذكر العلاّمة وجهاً ثالثاً بقريحته العرفانية اللطيفة بعد أن يشكل إشكالات عديدة على من يقول بعالم الذرّ كما عند المشهور، كما يشكل على النافين له، ويقول: ومقتضى هذه الآيات أنّ للعالم الإنساني . على ما له من السعة . وجوداً جميعاً عند الله سبحانه، وهو الذي يلي جهته تعالى ويفيضه على أفراده، لا يغيب فيها بعضهم عن بعض، ولا يغيبون عن صانعه، وهذا هو الذي يسمّيه الله سبحانه بالملكوت، ويقول: **{وَكَذلِكَ نُرِي إبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالأرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ}**(1)، ويشير إليه بقوله: **{كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّها**

1- سورة الأنعام، الآية 75.

عَيْنَ الْيَقِينِ}[1].

وأمّا هذا الوجه الدنيوي الذي نشاهده نحن من العالم الإنساني، وهو الذي يفرّق بين الآحاد، ويشتّت الأموال والأعمال بتوزيعها على قطعات الزمان، وتطبيقها على مرّ الليالي والأيّام ويحجب الإنسان عن ربّه بصرف وجهه إلى التمتّعات المادية الأرضية واللذائذ الحسية، فهو متفرّع على الوجه السابق متأخّر عنه، وموقع تلك النشأة وهذه النشأة في تفرّعها عليها موقعاً كن ويكون في قوله تعالى: **{أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون}**[2].

ويتبيّن بذلك أنّ هذه النشأة الإنسانية الدنيوية مسبوقة بنشأة أُخرى إنسانية هي هي بعينها، غير أنّ الآحاد موجودون فيها غير محجوبين عن ربّهم، يشاهدون فيها وحدانيّته تعالى في الربوبية بمشاهدة أنفسهم لا من طريق الاستدلال، بل لأنّهم لا ينقطعون عنه ولا يفقدونه، ويعترفون به وبكلّ حقّ من قبله، وأمّا قذارة الشرك وألواث المعاصي، فهو من أحكام هذه النشأة الدنيوية دون تلك النشأة، التي ليس فيها إلاّ فعله تعالى القائم به، فافهم ذلك.

وأنت إذا تدبّرت هذه الآيات ثمّ راجعت قوله تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ}** الآية، وأجدت التدبّر فيها وجدتها تشير إلى تفصيل أمر تشير هذه الآيات إلى إجماله، فهي تشير إلى نشأة إنسانية سابقة فرق الله فيها بين أفراد هذا النوع، وميّز بينهم **{وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنا}**.

1- سورة التكاثر، الآية 7.
2- سورة يس، الآية 82.

ولا يرد عليه ما أُورد على قول المثبتين في تفسير الآية على ما فهموه من معنى عالم الذرّ من الروايات على ما تقدّم، فإنّ هذا المعنى المستفاد من سائر الآيات والنشأة السابقة التي تثبته لا تفارق هذه النشأة الإنسانية الدنيوية زماناً، بل هي معها محيطة بها، لكنّها سابقة عليها السبق الذي في قوله تعالى: **{كُنْ فَيَكُون}**، ولا يرد عليه شيء من المحاذير المذكورة.

ثمّ يقول: وأمّا الروايات، فسيأتي أنّ بعضها يدلّ على أصل تحقّق هذه النشأة الإنسانية كالآية، وبعضها يذكر أنّ الله كشف لآدم (عليه السلام) عن هذه النشأة الإنسانية، وأراه هذا العالم الذي هو ملكوت العالم الإنساني، وما وقع فيه من الإشهاد وأخذ الميثاق، كما أرى إبراهيم (عليه السلام) ملكوت السماوات والأرض.

ثمّ في بحثه الروائي (الصفحة 323)، يذكر روايات عديدة تدلّ على عالم الذرّ، نكتفي بثلاثة منها، فقال: في الكافي، بإسناده، عن زرارة، عن حمران، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: إنّ الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق، خلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أُجاجاً، فامتزج الماءان، فأخذ طيناً من أديم الأرض، فعركه عركاً شديداً، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبّون: إلى الجنّة ولا أُبالي، وقال لأصحاب الشمال: إلى النار ولا أُبالي، ثمّ قال: ألست بربّكم؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين.

وفيه، بإسناده، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: **{فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها}**، ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على

التوحيد، قال: ألست بربّكم؟ وفيه المؤمن والكافر.

وفي تفسير العياشي، وخصائص السيد الرضي، عن الأصبغ بن نباتة،

عن علي (عليه السلام)، قال: أتاه ابن الكوّاء، فقال: أخبرني يا أمير المؤمنين عن الله تبارك وتعالى، هل كلّم أحداً من ولد آدم قبل موسى؟ فقال علي (عليه السلام): قد كلّم الله جميع خلقه برّهم وفاجرهم، وردّوا عليه الجواب، فثقل ذلك على ابن الكوّاء ولم يعرفه، فقال له: كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال له: أو ما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبيّه: **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى}**، فقد أسمعهم كلامه وردّوا عليه الجواب، كما تسمع في قول الله يا ابن الكوّاء **{قالُوا بَلى}**، فقال لهم: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا وأنا الرحمن الرحيم، فأقرّوا له بالطاعة والربوبية، وميّز الرسل والأنبياء والأوصياء، وأمر الخلق بطاعتهم، فأقرّوا بذلك في الميثاق، فقالت الملائكة عند إقرارهم بذلك: شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا يوم القيامة: إنّا كنّا عن هذا غافلين.

أقول: والرواية كما تقدّم، وبعض ما يأتي من الروايات، يذكر مطلق أخذ الميثاق من بني آدم من غير ذكر إخراجهم من صلب آدم وإراءتهم إيّاه، وكان تشبيههم بالذرّ كما في كثير من الروايات تمثيل لكثرتهم كالذرّ لا لصغرهم جسماً أو غير ذلك، ولكثرة ورود هذا التعبير في الروايات سمّيت هذه النشأة بعالم الذرّ.

وفي الرواية دلالة ظاهرة على أنّ هذا التكليم كان تكليماً حقيقياً لا مجرّد دلالة الحال على المعنى. وفيها دلالة على أنّ الميثاق لم يؤخذ على الربوبية فحسب، بل على النبوّة (والإمامة) وغير ذلك، وفي كلّ ذلك تأييد لما قدّمناه.

ثمّ يذكر الروايات الأُخرى من الشيعة والسنّة في هذا الباب، فراجع، وقال (قدس سره): وليس من البعيد أن يدّعى تواتره المعنوي (الصفحة 329).

وقال: وفي الدرّ المنثور أيضاً أخرج ابن سعد وأحمد، عن عبد الرحمان ابن قتادة السلمي، وكان من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم ثمّ أخذ الخلق من ظهره، فقال: هؤلاء في الجنّة ولا أُبالي، وهؤلاء في النار ولا أُبالي، فقال رجل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر.

أقول: القول في ذيل الرواية نظير القول في ذيل رواية أبي أُمامة المتقدّمة، وقد فهم الرجل من قوله «هؤلاء في الجنّة ولا أُبالي، وهؤلاء في النار ولا أُبالي» سقوط الاختيار، فأجابه (صلى الله عليه وآله): بأنّ هذا قدر منه تعالى وأنّ أعمالنا في عين أنّا نعملها وهي منسوبة إلينا تقع على ما يقع عليه القدر فتنطبق على القدر وينطبق هو عليها، وذلك أنّ الله قدّر ما قدّر من طريق اختيارنا فنعمل نحن باختيارنا، ويقع مع ذلك ما قدّره الله سبحانه، لا أنّه تعالى أبطل بالقدر اختيارنا، ونفي تأثير إرادتنا، والروايات بهذا المعنى كثيرة. انتهى كلامه رفع الله مقامه

..

فكما قال الإمام الصادق (عليه السلام): «لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين»، وكما نقول عند قيامنا من السجود: «بحَول الله وقوّته أقوم وأقعد»[1].

هذا إجمال ما أردت بيانه حول عالم الذرّ، وفي كتاب (التأويلات النجمية) أنّ الباء من الحروف الشفوية، وكان أوّل انفتاح فمّ الذرة الإنسانية في عهد {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} بالجواب بكلمة {بَلى}، فأوّل حرف نطقت به فم الذرة الإنسانية هو حرف الباء، فاختصّت بهذه الاختصاصات الربّانية، وجعلها الله تعالى مفتاح كتابه ومبدأ كلامه وبداية خطابه، فقال عزّ من قائل: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}،

1- لقد ذكرت مسألة الجبر والتفويض في كتابنا (الحقّ والحقيقة بين الجبر والتفويض)، فراجع.

فكلّ ما في البسملة إنّما تبدأ بالباء والباء بالنقطة، إذ النقطة منتهى الخطّ وبدايته، فمَن أراد أن يبدأ بكتابة الحروف أو رسم الأشكال إنّما يبدأ بالنقطة.

والنقطة بين الحروف والأعداد والأشكال لا نظير لها، وكلّها تحصل وتوجد وتتكوّن منها، فإنّ الألف أو الواحد من الأعداد إنّما هو الخطّ المستقيم الذي هو أقصر الخطوط ويتولّد من نقطتين، فبداية الحروف في كلّ اللغات وبداية الأعداد بين جميع الناس ونهايتهما هي النقطة.

كما أنّ النقطة في علم الهندسة والأشكال مركز الدائرة، والدائرة . كما هو ثابت في محلّه . أبسط الأشكال، فهي مرجع كلّ الأشكال، كالمربّع والمستطيل والمثلث وغير ذلك، كما أنّ الألف مرجع الحروف، وأنّ العدد الواحد مرجع كلّ الأعداد.

وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) نوره المبارك من نور الله سبحانه، واتّحد نوره مع نور النبيّ الأعظم محمد، فهما من شجرة واحدة ونور واحد، كما اتّحد نور الأئمة بنورهما، فكلّهم نور واحد، وجعلهم الله أنوار بعرشه محدقين، وهم (عليهم السلام)أفضل جميع الممكنات وأشرف خلق الله . للأدلة العقلية، كقاعدة الأشرف، كما في الفلسفة. وللأدلة النقلية من الكتاب والسنّة .، وليس لهم نظير في عالم الإمكان، فهم العلّة بأقسامها للممكنات . كما جاء في حديث المعراج عن الله سبحانه: يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما[1] .، وأوّل ما خلق الله . كما ورد في الحديث الشريف . نور محمد (صلى الله عليه وآله)، وفي الخبر الشريف: أوّلنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد

1- شرحت هذا الحديث الشريف في رسالة (فاطمة ليلة القدر)، فراجع.

وكلّنا محمد، كما أوّلهم علي وأوسطهم علي وآخرهم علي وكلّهم علي، ونورهم من نور الله سبحانه وعلمهم من علمه وقدرتهم من قدرته، فهم مظهر أسمائه وصفاته.

وعلي (عليه السلام) نقطة دائرة الإمكان ومركزها ومحورها وقطب حركتها، فهو قلب العالم وسلطانه، والحافظ والواسطة في الفيوضات الإلهية على الممكنات والخلائق من بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو الصادر الأوّل بعد النبيّ المختار، وهو إمام الكلّ في الكلّ لاحتياج الكلّ إليه، وهو باب الله المبتلى به الناس، مَن أتاه نجى ومن تخلّف عنه غرق وهوى، فهو مفتاح مشيّة الله واستفاضة فيضه المطلق بعد نبيّه الأكرم، وبيُمنه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، فإنّه لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها، فهو حجة الله

الأعظم، فهو الأوّل في المخلوقات بعد الرسول، وهو الآخر في الغايات، وهو الظاهر في فضائله، وهو الباطن في أسراره، فهو نقطة الوجود وسرّ المعبود، وهو الشاهد والمشهود.

أجل: قالت البشرية في عالم الذرّ في قوله تعالى: **{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى}**، ولم يقولوا نعم، فلولا المولى (عليه السلام) لما أمكنهم قول بلى، فإنّ نقطة تعين المتكلّم على قوله (بلى)، وذرية بني آدم لولا النقطة لتلجلجوا من اليوم الأوّل في توحيدهم، وعلي (عليه السلام) هو النقطة.

فمثل علي (عليه السلام) يكون قطب عالم الإمكان، وقد أشار إلى ذلك في نهجه، في الخطبة الشقشقية، قائلا: «وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنّي السيل، ولا يرقى إليّ الطير»[1].

«فهو قطب الولاية ونقطة الهداية وخطة البداية والنهاية، يشهد بذاك

1- نهج البلاغة، صبحي الصالح، الخطبة الثالثة: 48.

أهل العناية، وينكره أهل الجهالة والعماية، وقد ضمّنه أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً في قوله: كالجبل ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير، وهذا رمز شريف لأنّه شبّه العالم في خروجهم من كتم العدم بالسيل وشبّه ارتفاعهم في ترقّيهم بالطير، لأنّ الأوّل ينحدر من الأعلى إلى الأدنى، والثاني يرتفع من الأدنى إلى الأعلى، فقوله: «ينحدر عنّي السيل» إشارة إلى أنّه باطن النقطة التي عنها ظهرت الموجودات ولأجلها تكوّنت الكائنات، وقوله: «ولا يرقى إليّ الطير»، إشارة إلى أنّه أعلى الموجودات مقاماً ولسائر البريّات إماماً، ولهم في الحشر قائداً وقسّاماً، فهو قسيم نور الحضرة النبوية المحمدية، صاحب الولاية الإلهية، فهو الكلمة الربانية، ومولى سائر البرية، ولقد أحسن ابن أبي الحديد إذ فوق سهم التوفيق رامياً لهذا المرمى الدقيق عن قوس التحقيق، فقال:

والله لولا حيدر ما كانت ... الدنيا ولا جمع البرية مجمع

وإليه في يوم المعاد حسابنا ... وهو الملاذ لنا غداً والمفزع»[1]

الثاني : .

لا يخفى أنّ النقطة مركز الدائرة، وأمير المؤمنين علي هو مركز الحقّ وقطبه ومحوره، كما قال النبي . في الخبر المتواتر عند الفريقين السنّة والشيعة . عليّ مع الحقّ، والحقّ معه يدور حيثما دار.

فمن كان من شيعته ومواليه، كان مع الحقّ، وإنّه قد ركب سفينة النجاة، ومن تخلّف عنه غرق وهوى، وأُمّه هاوية نار حامية.

فمولى الموحّدين أمير المؤمنين هو نقطة عالم الوجود والنور والحقّ، يدور الحقّ معه أينما دار، فهو قطب الرحى.

1- مشارق أنوار اليقين: 51.

روى الحاكم النيسابوري والخوارزمي، بإسنادهما، قال رسول الله: رحم الله علياً، اللّهم أدر الحقّ معه حيثما دار. وروى الحمويني، بإسناده، قال رسول الله: الحقّ مع علي بن أبي طالب حيث دار. وقال (صلى الله عليه وآله): عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي، ولن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض يوم القيامة. وقال: يا علي إنّ الحقّ معك، والحقّ على لسانك وفي قلبك وفي عينك. وقال: سيكون بين الساعة فرق واختلاف، فيكون هذا ـ مشيراً إلى علي بن أبي طالب وأصحابه ـ على الحقّ. وقال: ستكون بعدي فِتَن، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنّه فاروق بين الحقّ والباطل. وعن عائشة، قال: الحقّ مع علي وعلي مع الحق، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. وعن أُمّ سلمة: كان علي على الحقّ، مَن اتّبعه اتّبع الحقّ، ومن تركه ترك الحقّ، عهداً معهوداً قبل هذا اليوم. وروى الخوارزمي، عن علقمة والأسود، قالا: سمعت أبا أيّوب الأنصاري يقول: سمعت النبيّ يقول لعمّار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية، وأنت مع الحقّ والحقّ معك، يا عمّار، إذا رأيت علياً سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع عليّ ودع الناس، فإنّه لن يدخلك في أذى ولن يخرجك من الهدى... وهناك عشرات الروايات الأُخرى بهذا المضمون في كتب أبناء العامة فضلا عن الشيعة[1].

الثالث : .

مرجع الحروف ومآلها هي النقطة، وظهور العلوم والفنون إنّما هي بالحروف، فمرجع المعارف الإلهية ومآل العلوم والفنون والفضائل والمكارم والآداب هو علي (عليه السلام)، فهو مرجع حساب الخلائق، وبصكّ منه يعبر المؤمن على الصراط، كما ورد في الخبر الشريف عند الفريقين.

1- نقلت الروايات من كتاب (قادتنا كيف نعرفهم) 2: 475 ـ 480، فراجع.

فظهور العلوم البشرية، كعلم الأديان وعلم الأبدان، والعلوم العقلية والنقلية إنّما هي من الحروف، وتركيب الحروف من النقطة، وهو النقطة (عليه السلام)، فهو أساس العلوم وعنده علم الأوّلين والآخرين، كما في الأخبار الشريفة.

الرابع : .

النقطة ميزان في العلوم والفنون، وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) ميزان الأعمال، كما نقرأ في زيارته: «السلام عليك يا ميزان الأعمال»، فهو الميزان القويم بين الحقّ والباطل، وبه تقاس الأعمال وتقوّم، فهو الفاروق الأعظم والصراط المستقيم، وصراط علي حقّ نمسكه، ومن لم يتمسّك بحبل الله ويعتصم بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهو من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ومأواه جهنم، وبئس المصير.

فتشخيص حرف الباء من التاء والثاء بالنقطة، وعلي (عليه السلام) هو النقطة المميّزة بين الحقّ والباطل والأُمور المتشابهة، فهو المحكم من الآيات.

الخامس : .

من النقطة تعرف أسرار الحروف والأعداد، ومن إمام المتّقين علي (عليه السلام) تعرف أسرار المعارف الحقّة والأحكام المستحكمة، فهو الهادي ولكلّ قوم هاد، وهو سرّ الله وآيته ومظهر لأسمائه وصفاته، فهو يد الله وعينه ـ كما قالها عمر بن الخطّاب في قصة الرجل الذي كان ينظر إلى امرأة أجنبية في حرم النبيّ، فصفعه

أمير المؤمنين علي على وجهه فاحمرّ وجهه، فجاء إلى عمر يطالب بالقصاص، فأجابه: عين الله رأت ويد الله ضربت . وهذه معرفة عمرية عامّية، فكيف بالمعرفة العلوية الشيعية، فتدبّر .

وقد ورد في الحديث النبوي الشريف عند الفريقين في صحاحهم: يتقرّب العبد إليّ بالنوافل حتّى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره

الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده الذي يأخذ به[1]، وأمير المؤمنين سيد المتقرّبين، فيده يد الله، ويد الله فوق أيديهم[2].

السادس : .

قالوا: إنّ للنقطة باعتبار اختفائها بالصورة الألفية . فإنّ حرف الألف مركّب من نقاط متوالية متلاحقة والحروف مركّبة من الألف . وظهور النقطة بها لها مراحل ومراتب:

الأُولى:

قبل الامتداد . فإنّ النقطة عندما تمتدّ يتكوّن الألف .، وهي المرتبة الاجمالية الاتّحادية، وهي مرتبة لا يظهر أعيانها، وهي عبارة عن المرتبة النورانية الثابتة للإمام علي (عليه السلام)، على ما هي مذكورة في الأخبار والآثار .

الثانية:

ابتداء النفس بإيجاد وأعيان الحروف حال تعيّناتها في مخارجها، وهذا تشبيه لكون الإمام (عليه السلام) واسطة بين الخالق والمخلوق في جميع الفيوضات الربّانية، وكونه (عليه السلام) حافظاً للشريعة السماوية السمحاء، وهادياً للأُمّة البشرية، وقلبه عبارة عن المشكاة التي فيها مصباح، كما جاء في تفسير آخر للمصباح

1- الآداب المعنوية للصلاة: 354.

2- يقول السيد الإمام الخميني (قدس سره) في آداب الصلاة: الإنسان يستطيع أن يكون مظهراً لأسماء الله، والآية الكبرى الإلهية بالارتباطات القلبية، ويكون وجوده وجوداً ربّانياً، ويكون المتصرّف في مملكته يد الجمال والجلال الإلهي. وفي الحديث ما يقرب من هذا المعنى من أنّ: (روح المؤمن أشدّ اتّصالا بالله تعالى من اتّصال الشمس بها أو بنورها)، وفي الحديث الصحيح: (لا يزال يتقرّب إلَيّ عبدي بالنوافل حتّى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به...)، وفي الحديث: (علي عين الله ويد الله)، إلى غير ذلك... وفي الحديث: (نحن أسماؤه الحسنى)، والشواهد العقلية والنقلية في هذا بخصوصه كثيرة.

في آية النور[1].

وقال (عليه السلام): نحن أوعية مشيّة الله، إذا شئنا شاء الله، ولا نشاء إلاّ أن يشاء الله، وفي الزيارة الجامعة الكبيرة: «السلام على محالّ مشيّة الله». والسرّ في المعنى المذكور ظاهر، فإنّ تلك التعيّنات إشارة إلى مقام إقبال المعصوم (عليه السلام)إلى الخلق لإصلاح أُمور دينهم ودنياهم.

الثالثة:

المرتبة الحسية برسم النقطة وامتدادها في رسم الحروف، وهي إشارة إلى كونه (عليه السلام) مظهر العالم الملكي المسمّى بعالم الحسّ والشهادة في مقابل عالم الملكوت والأمر، فتظهر أسماء الله وصفاته الكمالية، وتبرز في وجوده الشريف. فكونه (عليه السلام) مظهر الفيض الأقدس في العالم الناسوتي، وظهوره في الظاهرة الكمالية الإنسانية عكوس الأسماء الإلهية.

السابع : .

قد جاء في الحديث الشريف . كما مرّ . إنّ **{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}** أقرب إلى الإسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها، وقد ورد في معناه وجوه كثيرة: كقولهم: البسملة عين الاسم الأعظم،، إمّا بهذا الترتيب أو بترتيب آخر مخزون عند أهله، ولكنّ ترتيب آثارها وظهور خواصّها مشروط بشروط لا يتّفق اجتماعها وتحقّقها إلاّ عند أهلها كالأنبياء والأوصياء والأولياء.

وقيل: الإسم الأعظم كما ورد في بعض الأخبار عبارة عن وجود الإمام (عليه السلام)، فلولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها، ثمّ شدّة قرب الأئمة الأطهار . سيّما سيّد الأوصياء علي (عليه السلام) . إلى البسملة في غاية الوضوح والثبوت، كما يشهد به آية **{فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى}**، فالنقطة هو وجود الإمام (عليه السلام)، والبسملة

1- ذكرنا تفصيل ذلك في (جلوة من ولاية أهل البيت (عليهم السلام))، فراجع.

أقرب إلى النقطة من حيث المعنى من سواد العين إلى بياضها، وقال الله تعالى **{وَلِلّهِ الأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها}**، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) كما في تفسير نور الثقلين، ذيل الآية الشريفة .: «نحن والله الأسماء الحسنى»، وهذا يعني أنّ الإسم الأعظم ليس لفظاً، بل كلّ اسم هو أعظم لو تجلّى في جوهر الإنسان المؤمن باطنه، وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) من الإسم الأعظم وهو نقطة البسملة.

الثامن : .

هل تعلم إنّ الحروف الأبجدية لها أعداد خاصة في كتب العلوم الغريبة، وعلي يتكوّن حسابه بالأبجد مئة وعشرة، فإنّ العين سبعين واللام ثلاثين والياء عشرة، فتلك مئة وعشرة، ثمّ جميع الأعداد والأسماء للمخلوقات باعتبار الحروف الأبجدية وأعدادها مرجعها بعد حساب خاص إلى مئة وعشرة، وهذا يعني أنّ مرجع الأسماء كلّها إلى اسم علي (عليه السلام)، وكيف لا ترجع الأسماء كلّها إلى اسمه الشريف (وعلي اشتقّ من العليّ)، كما ترجع المسميات إلى مسمّاه الشريف، كما إنّ مرجع الأعداد من الواحد إلى ما لا نهاية إنّما يكون إلى عدد مئة وعشرة، وهو عدد اسم علي المبارك.

وأمّا الحساب الخاص، فهو: يأخذ أي عدد كان (حتّى عدد الواحد) فيضرب المجموع في ستة، ثمّ يضاف عليه واحد، ويضرب في عشرة، ويقسّم على عشرين، والمتبقّي يضرب في أحد عشر، فتكون النتيجة عدد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (110).

ولا يخفى على ذوي النهى أنّ هذه المقامات الشامخة في الحقيقة العلوية إنّما هي من أشعة الحقيقة المحمدية، فإنّه قال (عليه السلام): علّمني رسول الله ألف باب من العلم ينفتح لي من كلّ باب ألف باب.

وقال: أنا عبد من عبيد محمد.

وقال رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله): أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد المدينة، فليأتها من بابها.

التاسع : .

من صفات نقطة الباء بين مثيلاتها . أي: التاء المثناة والثاء المثلثة والياء المثناة والنقاط تحتها . أنّها توضح وتبين الباء عن غيرها، فلولا النقطة الواحدة التحتانية لاشتبه الأمر، فهذه النقطة الواحدة هي التي ميّزت الباء عن غيرها، والنقطة . كما ورد في الخبر الشريف: حقيقة واحدة كثّرها الجاهلون . فنقطة الباء توضحه وتميّزه عمّا يشاركه في الصورة، وأمير المؤمنين علي (عليه السلام)هو الذي يبيّن علوم القرآن ومعارفه ويوضّح مجملاته وإشاراته ويكشف حقائقه وأسراره، فإليه تنتهي العلوم والفنون، ولم يؤخذ علم إلاّ منه بعد الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله).

العاشر : .

لولا النقطة تحت الباءء لما تمكنا من التلفّظ بحرفها، ولولاها لما تمكّنا من التلاوة المباركة، ولو تلفّظ شخص البسملة من دون النقطة، لسُئل عن نقطتها.

وهذا يعني بوضوح تامّ أنّه لا يمكن أن نقف على حقيقة القرآن الكريم ومعانيه وأسراره ومغزاه لولا من كان عنده علم الكتاب، الراسخ في العلم، يعسوب الدين، أمير المؤمنين علي المرتضى (عليه السلام)، ولولاه لما عرفنا مراد القرآن وخطاباته الواقعية، فهو نقطة باء البسملة التي فيها تمام القرآن الكريم، وقد ورد في رواياتنا: «إنّما يعرف القرآن من خوطب به».

الحادي عشر : .

لولا النقطة في لفظ الوجود، لكان من اللفظ المهمل (وحود)، فلا معنى له، ويفقد اللفظ حينئذ أصالته وقيمته، وكذلك الأمير روحي فداه لولاه لما كان معنى لعالم الوجود حدوثاً وبقاءً، ولكان ما سوى الله سبحانه في حيّز العدم

«بكم فتح الله وبكم يختم»، «ولولا الحجة لساخت الأرض بأهلها».

وفي حديث المعراج خطاب ربّ العباد حبيبه محمد، قائلا: «يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»[1]، فلو شبّهنا العالم وما سوى الله سبحانه بجسد الإنسان كما ورد في الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

أتزعم أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وفي جسد الإنسان عقل في الدماغ وهو مركز الإرادة والتدبير، وقلب في صدره يضخّ منه الدم، وكبد يصفّي الدم الذي يأخذه من القلب ويدفعه إلى الدماغ، فلولا الدماغ لما كان الإنسان، ولولا القلب لما كان الدماغ، ولولا الكبد لما كان الدماغ والقلب، أي لا يتمّ عملية الدماغ والقلب.

ودماغ الأفلاك وعقل العالم هو رسول الله، وقلب عالم الإمكان هو الإمام المعصوم علي (عليه السلام)، وكبد العالم فاطمة الزهراء (عليها السلام)، فلولاها لما كان مجال لعمل العقل والقلب، فهي مجمع النبوّة والإمامة، وهي ملتقى البحرين يخرج منها اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين، فهي أُمّ الأئمة النجباء الأطهار (عليهم السلام)، وأُمّ أبيها.

الثاني عشر : .

لولا النقطة في لفظ النور، لكان مهملا لا معنى له، ولولا مولانا علي المرتضى (عليه السلام) لما كان للنور ظهور، فهو وابن عمّه وأهل بيته (عليهم السلام)نور السماوات والأرض، كما مرّ في آية النور.

1- لقد ذكرت وجوهاً لهذا الخبر الشريف، كما ذكرت مصدره في رسالة (فاطمة الزهراء ليلة القدر)، فراجع.

إنّ سموّ النور على سائر الموجودات، بل كون قوامها جميعاً به، أوضح من أن يبرهن عليه، ويمتاز النور المحمدي المشترك مع النور العلوي في الحقيقة بأنّه مستمدّ من النور الإلهي الذي به استنارت السماوات والأرضون. وإليك ما يدلّ على ذلك: روى الحمويني، بإسناده، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله يقول لعلي: خلقت أنا وأنت من نور الله تعالى[1].

وروى الكنجي، بإسناده، عن سلمان، قال: سمعت رسول الله يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله مطيعاً، يسبّح ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم ركز ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتّى افترقا في صلب عبد المطّلب، فجزء أنا وجزء علي.

وروى ابن المغازلي، بإسناده، عن سلمان، قال: سمعت حبيبي محمداً يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ يسبّح الله ذلك النور ويقدّسه، فلمّا خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتّى افترقا في صلب عبد المطّلب، ففيّ النبوّة، وفي علي الخلافة.

وفي رواية أُخرى، عن جابر... فأسكنها في صلب آدم، فساقها حتّى قسمها جزئين، جزء في صلب عبد الله، وجزء في صلب أبي طالب، فأخرجني نبياً، وأخرج علياً وصياً[2].

وهناك العشرات بل المئات من الروايات التي تذكر الحقيقة المحمدية والحقيقة العلوية ونورهما وأنّهما من نور الله سبحانه قد رواها الفريقان بأسانيدهم

1- قادتنا كيف نعرفهم 1: 41، عن فرائد السمطين 1: 40.

2- مناقب علي بن أبي طالب: 88.

المعتبرة، وإنّما نكتفي ببعض الروايات مع حذف السند طلباً للاختصار، وليكون ما سطرناه الخطوة الأُولى لمسيرة ألف ميل، والكلمة الأُولى لمن أراد التفصيل.

قال الحافظ البرسي: محمد وعلي نور واحد، وإنّما انقسما تسمية ليمتاز النبي عن الولي، كما امتاز الواحد عن الأحد، فكلّ أحد واحد ولا ينعكس، وكذا كلّ نبيّ ولي ولا ينعكس، فلهذا لا توزن الأعمال يوم القيامة إلاّ بحبّ علي، لأنّ الولاية هي الميزان[1].

الثالث عشر : .

الحروف الهجائية في اللغة العربية يتكوّن من 28 حرفاً، وفيها الحروف المنقّطة، ولولا النقطة لاختلّت الحروف وتناثرت وتهاوت، وكذلك نقطة البسملة علي المرتضى (عليه السلام)، فلولاه لاختلّ النظام التشريعي والتكويني، فإنّ القوم نحّوا علياً (عليه السلام) عن الخلافة الحقّة، فأدّى ذلك إلى الابتعاد عن النظام التشريعي والدين المحمّدي الأصيل، وأصاب المسلمين الذلّ والانكسار، وتفرّقوا شِيعاً، وذهبت شوكتهم وعزّتهم، وإنّما ينالوها مرّة أُخرى لو رجعوا إلى الحقّ والصدق، وإنّ علياً مع الحق والحق مع علي (عليهم السلام)، دار الحقّ معه أينما يدور.

الرابع عشر : .

كلّ الحروف والأعداد تفتقر في جوهرها وتكوينها وحقيقتها إلى النقطة دون العكس، وكذلك الموجودات في قوامها وإيجادها تفتقر إلى الإمام الحقّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ولمّا سأل سائل عن دليل إمامته، أجابهم بالبرهان العقلي: احتياج الكلّ إليه واستغنائه عن الكلّ دليل على أنّه إمام الكلّ في الكلّ، فهو النقطة في عالم الموجودات وبوجوده ثبتت الأرض والسماء،

1- قادتنا كيف نعرفهم 1: 46، عن مشارق أنوار اليقين: 66.

وبيمنه رزق الورى. فهو حجة الله على الخلائق، وهو الكشّاف للحقائق.

الخامس عشر : .

روى الفريقان . السنّة والشيعة . في صحاحهم، عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): «كلّ أمر ذي بال لم يبدأ به ببسم الله فهو أبتر»، فلا بدّ من ذكر الله عند كلّ أمر حتى يكون مباركاً، وقال سبحانه وتعالى:

{اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}، وعلي (عليه السلام) مظهر ذكر الله، فإنّه يذكّر الناس بالله سبحانه، فهو ذاكر ومذكّر، وهو النقطة تحت البسملة، فلا يتمّ ذكر الله إلاّ به، وفي أحاديثنا عن أئمتنا الأطهار (عليهم السلام): «بنا عُرف الله»، «بنا عُبد الله»، «سبّحنا فسبّحت الملائكة، وكبّرنا فكبّرت الملائكة»، فلا يصحّ ولا يتمّ ذكر الله حقّاً والتوجّه إليه صدقاً إلاّ من ناحيتهم (عليهم السلام)، «أنتم وجه الله الذي يتوجّه إليه الأولياء». وروي عن النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله): «ذكر عليّ عبادة»، و «حبّ عليّ حسنة لا يضرّ معها سيئة، وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة»[1].

السادس عشر : .

الباء في البسملة عند المشهور من علماء التفسير والأدب إنّما هي للاستعانة، وبدون النقطة لا تكون بائها باءً، ولا يمكن تلاوتها، وهذا يعني أنّه من دون المولى (عليه السلام) لا يمكن أن يستعان بالبسملة[2].

وقال العلاّمة الشيخ محمد حسين الاصفهاني في تفسيره[3]، في وجوه تعليق الاستعانة باسم الجلالة وكيفيّتها: ثمّ إنّ في تعليق الاستعانة وما شابهها

1- بحر المعارف: 398.

2- هذا الوجه وبعض الوجوه الموجزة الأُخرى أشار إليها زميلنا وصديقنا الفاضل الحجة السيد حسن الأحمدي وصديقنا العزيز وزميلنا الحجة الشيخ حسين الكنجي، جزاهما الله خيراً، وأسعدهما في الدارين.

3- مجد البيان: 216.

باسم الله سبحانه في البسملة وسائر المقامات كقوله: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ} و {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} و {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ} و {فَسَبِّحِ بِاسْمِ رَبِّكَ} وغير ذلك، وجهين:

أحدهما : .

أن يكون المنسوب إليه هو الله سبحانه لا الاسم كقول (لبيد): «إلى الحول ثمّ اسم السلام عليكما»، وهذا يمكن أن يكون نحو تعظيم في التعبير كما شاع ذكر الجناب ونحوه عند إرادة العرض على الأكابر، مع أنّ المنسوب إليه هو الكبير بنفسه، وأن يكون المراد من الاسم المذكور هو المسمّى، كما صرّح به بعضهم في الآية الأُولى.

وثانيهما : .

أن يكون الاستعانة بنفس الاستعانة وما شاكلها، متعلّقة بنفس الاسم من حيث كون الاستعانة به استعانة بالمسمّى، وكونه وسيلة إليه سبحانه، سواء جعل الاسم بمعنى اللفظ كما هو المفهوم منه عند العامة، فيكون إسناد التسبيح والتبارك إليه باعتبار كونه منزّهاً عن الدلالة على ما يشعر بنقص، وكونه موجباً للبركة لمن واظب عليه أو ذكر الله سبحانه به، أو عبارة عن حقيقة ذلك الاسم في عالم الربوبية، فإنّ للناس حقائق في أعلى درجات عالم الامكان، وحينئذ فنسبة التنزيه والبركة والاستعانة إليه حقيقة إمكانية، يعني في مقام نسبة الأشياء الإمكانية بعضها إلى بهض، وهذا الوجه أدلّ على تنزيه الحقّ وتباركه وكونه المستعان به من حذف الاسم وجعل المسمّى متعلّق النسبة.

ولعلّ أوجه الوجوه أن يقال: لمّا كان ذات الحقّ سبحانه منزّهاً عن تعلّق إدراكنا به وغيباً محضاً لا يصحّ الاشارة إليه لا عقلا ولا وهماً، ظاهراً لنا بصفاته وأسمائه وأفعاله وآثاره، وكان صفاته الذاتية عين الذات الممتنعة عن الادراك افتقر الداعي والمستعين والمسبّح إلى وجهة يتوجّه بها إليه سبحانه من أسمائه الكلية والجزئية **{وَلِلّهِ الأَسْماءُ الحُسْنى فَادْعُوهُ بِها}** بمنزلة القاصر عن مشاهدة

الشمس بعينه المتوسّل إلى ملاحظتها بالماء الصافي أو المرآة الصافية، فإنّ الاسم من حيث أنّه اسم وعلامة للشيء لا يعتبر له استقلال وهوية بل يلاحظ به المسمّى ويجعل آلة للحاظه، كالناظر إلى الشمس من المرآة والماء فإنّه ينبغي غفلته عن ملاحظة صفات الماء والمرآة واستغراقه في مشاهدة صفات الشمس الظاهرة له بتوسّط الماء، فتسبيحه حينئذ لما ظهر في الماء تسبيح للشمس، والماء مظهر لها. وأمّا من يرى الماء شيئاً مستقلا ويشاهده وصفاته فهو غير ناظر إلى الشمس ولا إلى علامته، بل إلى أمر آخر محتجب به عن الشمس، وكذا المستعين بحقائق الأسماء الإلهية أو ألفاظها ومسبّحها قد يكون مسبّحاً له سبحانه ومستعيناً به بإيقاع الألفاظ والحقائق عليه وهو الموحّد في ذلك المقام، وقد يكون مسبّحاً للألفاظ والحقائق ومحتجباً بها عنه سبحانه وهو من أخفى أقسام الشرك، انتهى كلامه رفع مقامه.

وإنّما ذكرت ما بيّنه في معنى الاستعانة بسم الله لما فيه من الدقّة والظرافة، ونقول في أمير المؤمنين علي المرتضى وأنّه يستعان به لا على نحو الاستقلالية، بل هو من أسماء الله وأنّه مرآة صافية تطبع فيها حقائق الأسماء الإلهية، وهذا من عين التوحيد الخالص، فإنّ ذات الحقّ سبحانه منزّهاً عن تعلّق إدراكنا وفهمنا به، فكلّ ما نتصوّره فهو مخلوق لنا، فإنّه غيب محض لا يصحّ الإشارة إليه لا عقلا ولا وهماً، وإنّما يظهر لنا بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله وآثاره المتجلّية في أتمّ مخلوقاته، محمد وآله الطاهرين، فتدبّر جيّداً.

ثمّ يستعان بأمير المؤمنين في كلّ الأمور، فهو مظهر لتمام الاستعانة بالله سبحانه، فإنّ نهاية أدب العبد غمض العين عن حوله وقوّته والإلتجاء إلى اسم ربّه والاعتصام به والاستعانة به في جميع شؤونه وأفعاله، إلى أن يصل إلى مقام

يغني عن مشاهدة نفسه فاعلا ومريداً، ويرى ذاته فاعلا ومريداً بالله سبحانه، وروي عن النبيّ الأكرم: «كلّ أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر». وروي في التوحيد عن الإمام الرضا (عليه السلام) . بعد السؤال عن ترجمة البسملة .، أنّه قال: «معنى قول القائل (بسم الله)، أي: أسمُ على نفسي سمة من سمات الله عزّ وجلّ، وهي العبادة. قال الراوي: فقلت له: ما السمة؟ قال: العلامة»[(1)]. «فإنّ التسمية بهذه الكيفية متحقّق بمقام العبودية التي هي علامة الربوبية ومظهرها، فإنّ العبودية فناء وتبعية وقابلية وسؤال والتجاء واعتصام واستمداد، والربوبية كمال وجود وإعطاء وإمداد وإيجاد ونفاذ كلمة وتأثير، والأوّل علائم ومظاهر للآخر، والمسمّى بذلك المعنى دالّ على ربّه فاعل به، وتاركها كذلك مظهر نفسه في فعله ومحتجب عن ربّه بذاته وصفاته وأفعاله، والعلامة ما كان كاشفاً عن المعنى الذي هي علامة له، لا حاجباً ساتراً عنه. فمن وضع التسمية على نفسه فقد وسم نفسه بسمة الله علامته»[(2)].

«ثمّ الرواية يؤيّد ما ذهب إليه الكوفيون من كون الإسم أصله الوسم والسمة، لأنّ الإسم علامة للمسمّى، خلافاً للبصريين، فذهبوا إلى أنّ أصله السموّ بمعنى العلوّ، والمناسبة أنّ التسمية تنويه للمسمّى وإعلاء له، أو أنّ اللفظ معرّف للمعنى، والمعرّف متقدّم على المعرّف في المعلومية فهو عال عليه، وكلاهما بعيدان، وإن كان اشتقاق الأسماء وأُسمّي وسمّيت في الجمع والتثنية وبناء الفعل يؤيّده»[3].

السابع عشر : .

في الخبر النبوي الصحيح عند الفريقين: «لا صلاة إلاّ

1- التوحيد: 229، وتفسير الصافي 1: 45، والبحار 9: 230.

2- مجد البيان: 215.

3- مجد البيان: 216.

بفاتحة الكتاب»، وبداية الفاتحة البسملة وأمير المؤمنين نقطتها، ولولا النقطة لما كانت البسملة ولما صحّ الدخول في الصلاة، وبدون ولايته (عليه السلام) لا تصحّ الصلاة ولا تقبل العبادة يوم القيامة، ولو كانت ذلك ليلا ونهاراً، كما صحّ وثبت في الأخبار المروية عند الفريقين.

قال العلاّمة الهمداني في كتابه[1]: «ثمّ اعلم أنّ الله تعالى أوحى إلى نبيّه (صلى الله عليه وآله)أنّ علياً (عليه السلام) هو السرّ المودع في فواتح السور والإسم الأعظم الأكبر الموحى إلى الرسل من البشر، والسرّ المكتوب على وجه الشمس والقمر والشجر والمدر، بل كلّ شيء خلق كما تقدّم من الخبر والأثر، وإنّه ذات الذوات في الذوات للذات، لأنّ أحدية الباري منزّهة عن الأسماء والصفات متعالية عن النعوت والإشارات، وأنّه الإسم الذي إليه ترجع الحروف والعبارات، والكلمة المتضرّع بها إلى الله سائر البريات، وإنّه الغيب المخزون بين اللام والهاء والكاف والنون، فقال سبحانه: **{حمعسق كَذلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ}**، قال الصادق (عليه السلام): (عسق) سرّ علي (عليه السلام)، فجعل اسمه الأعظم مرموزاً في فواتح سور القرآن وفاتحته، وإليه الإشارة بقوله: «لا صلاة إلاّ بفاتحة الكتاب»، ولا صلاة للربّ إلاّ بحبّ عليّ (عليه السلام) ومعرفته، ويظهر من ذلك وما سبق أنّ الوليّ هو المحيط بكلّ شيء، فهو محيط بالعالم، والله من ورائه محيط، وقد ظهر من أخبار معراج النبيّ (صلى الله عليه وآله)أنّ علياً (عليه السلام) أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) بكلّ ما وقع له واطّلع عليه. وقد ظهر من ذلك سرّ كتابة اسمه الشريف على كلّ شيء، وقال تعالى: **{وَكُلَّ شَيْء أَحْصَيْناهُ فِي كِتاب مُبِين}**، فأخبرنا سبحانه أنّ جميع ما جرى به قلمه وخطّه في اللوح المحفوظ

1- بحر المعارف: 440.

من الغيب أحصاه في الإمام المبين، وهو اللوح الحفيظ في الأرض والسماء، وهو الإمام المبين، فاللوح المحفوظ علي (عليه السلام)... وإنّ الوليّ المطلق ولايته شاملة للكلّ ومحيطة بالكلّ واللوح داخلة فيها فهو دالّ على المحفوظ... فعليّ سرّ الأسرار وآية الجبّار، التي ينفذ عدّ فضائله رمل القفار وورق الأشجار وطيّار البحار، ولو

أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله إنّ الله عزيز حكيم، فمعرفة العامة لعلي (عليه السلام) أنّه فارس الفرسان وقاتل الشجعان، ومعرفة الخاصة أنّه أفضل من فلان وفلان، فلذلك إذا سمعوا أسراره أنكروا واستكبروا وجهلوا وهم في جهلهم غير ملومين، لأنّهم لو عرفوا أنّ محمداً (صلى الله عليه وآله) هو الواحد المطلق وأنّ علياً (عليه السلام) هو الولي المطلق، الولاية على الكلّ والسبق على الكلّ والتصرّف في الكلّ، لأنّهما العلّة في وجود الكلّ، فلهما السيادة على الكلّ لأنّهما خاصة إله الكلّ، ومختار معبود الكلّ، سبحان إله الكلّ وربّ الكلّ وفالق الكلّ ومفضّل محمد وعلي (عليهما السلام) على الكلّ والمستعبد لولايتهم وطاعتهم الكلّ».

الثامن عشر : .

في الحديث الشريف، قال النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله): «مَن أراد أن ينجو من الزبانية فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفاً ليجعل الله كلّ حرف منها جُنّة من واحد منها»[1]. وعلى أبواب وطبقات جهنّم تسعة عشر من الملائكة الغلاظ كما في سورة المدّثر: {عَلَيْها تِسْعَةُ عَشَر}، ونقطة الباء هو المولى، فمن دونه لا يمكن النجاة من الزبانية، فهو قسيم الجنّة والنار.

عليّ حبّه جُنّة قسيم النار والجَنّة

1- مجد البيان: 267، والبحار 92: 257.

وصيّ المصطفى حقّاً إمام الإنس والجِنّة

وفي زيارة الجامعة الكبيرة: «من أتاكم نجا، ومن لم يأتكم هلك».

وفي الحديث النبوي المتواتر عند الفريقين: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق وهوى».

روى الحمويني، بإسناده، عن أبي هريرة أنّه قال: لمّا خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه، التفت آدم إلى يمنة العرش فإذا في النور خمسة أشباح سجّداً ركّعاً، قال آدم: يا ربّ، هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم، قال: فمن هؤلاء الخمسة من الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنّة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجنّ، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العليّ وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزّتي إنّه لا يأتيني أحد مثال ذرّة من خردل من بغض أحدهم إلاّ أدخلته ناري ولا أبالي، يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم أُنجيهم وبهم أُهلكهم، فإذا كان لك إليّ حاجة فبهؤلاء توسّل. فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): نحن سفينة النجاة من تعلّق بها نجا ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت[1].

حبّ علي (عليه السلام) حبّ الله جلّ جلاله: قال النبي (صلى الله عليه وآله): إنّ الله عهد إليّ عهداً، فقلت يا ربّ، بيّنه لي؟ فقال: إسمع، إنّ علياً راية الهدى وإمام أوليائي ونور

1- فرائد السمطين 1: 36.

مَن أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين، مَن أحبّه فقد أحبّني، ومَن أطاعه فقد أطاعني.
رواه في حلية الأولياء من كتب العامة[1].

التاسع عشر : .

كلمة التوحيد والشهادة الأُولى: (لا إله إلاّ الله) ليس فيها النقطة، فإنّ الله سبحانه هو الغنيّ وما سواه فقير إليه، فما سواه (أنتم الفقراء) يحتاج إليه، فهو واجب الوجود لذاته مستجمع جميع الصفات الكمالية والجمالية، فذاته المقدّس سبحانه وتعالى ثبوتاً، لا يحتاج إلى النقطة وهو المولى، فكلمة الله هي العليا، لا يحتاج إلاّ إلى الله سبحانه، إلاّ أنّه في مقام الاثبات والمعرفة والعبودية لا بدّ من معرّف كما في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فخلقت الخلق لكي أُعرف»، فالخلق كلمات الله، وقال الإمام الرضا في الحديث الصحيح: «كلمة لا إله إلاّ الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي»، ثمّ قال (عليه السلام): «بشرطها وأنا من شرطها»، فلولا الولاية لما كمل النبوّة والتوحيد، وإذا أردنا أن نعرف الله ونثبت الصانع سبحانه، إنّما يكون ذلك بأنوار الأنبياء والأولياء وعقولهم النيّرة . بنا عرف الله وعُبد ..

وزبدة الكلام أنّ التوحيد وكلمته في مقام الثبوت غني بالذات فلا يفتقر إلى النقطة، ولكن في مقام الإثبات والدلائل والبراهين لا بدّ من مرشد عقلي ودليل نقلي، وسيد البراهين الساطعة والأدلّة الواضحة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)نقطة باء البسملة.

العشرون : .

قال الله سبحانه وتعالى: {لا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ}،

1- إثبات الهداة 4: 108، الباب العاشر في النصّ على علي (عليه السلام) من طرق العامة.

فيجب عند الذبح والنحر ذكر الله وبسم الله، وإلاّ فتكون الذبيحة ميتة ويحرم أكلها، قال أمير المؤمنين: «أنا النقطة»، فحلّية الذبيحة تحتاج إلى البسملة التي نقطتها علي المرتضى (عليه السلام)، وقد أفتى بعض الأعلام المعاصرين بعدم كفاية ذبيحة المخالف في الهدي في منى.

الواحد والعشرون : .

يجب الجهر بالبسملة في الصلوات الجهرية كالصبح، ويستحبّ في الاخفاتية كالظهرين(1)، ونقطة الباء أمير المؤمنين علي المرتضى،

1- جاء في مجد البيان في تفسير القرآن: 259: عن القمي عن الصادق (عليه السلام)، أنّها: أحقّ ما يجهر به ـ بالبسملة ـ وهي الآية التي قال الله عزّ وجلّ: (وَإذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ في القُرْآنِ وَحْدَهُ وَلّوا عَلى أدْبارِهِمْ نُفُوراً)، ولعلّ الوجه في رجحان الإجهار به كما في غيره من الأخبار أيضاً هو أنّ الإجهار نوع من الإظهار، وإظهار التحقّق بمقام البسملة في عالم الملك الإنساني والكبير موجب لظهور فيوضاتها وبركاتها ودفع الشياطين فيما ظهرت فيها، وفي كونه ذكراً للربّ وحده واشتمال مدلولها على كثير من معاني التوحيد كما يظهر ممّا أسلفناه، وفي تنفّرهم عنه وتولّيهم على أدبارهم نفرتهم عن التوحيد وإعراضهم عن هذه الأسماء والتحقّق بها والتخلّق بموجبها، وعمّن كان شأنه وصفته ذلك، كما أنّه يبعد بسبب قرائتها على وجه الحقيقة وأشباههم الداخلية في عالم القلب الإنساني.

والعياشي، عنه (عليه السلام)، قال: «ما لهم قاتلهم الله، عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنّها بدعة إذا أظهروها»، والظاهر أنّها تعريض بالعامة، المنكر ثلّة منهم لكونها جزءاً من السورة، وبعض للجهر بها في الصلاة، كما أنّ المنكرين للجزئية هم المراءون بما رواه عن الباقر (عليه السلام): «سرقوا أكرم آية في كتاب الله: بسم الله الرحمن الرحيم»، والوجه في كون البسملة أكرم آية وأعظم آية، يظهر ممّا قدّمناه وفصّلناه في تفسيرها، وممّا يأتي . إن شاء الله تعالى ..

<=

=>

وروى البرقي في المحاسن، عن الصادق، أنّه قال: «ما نزل كتاب من السماء إلاّ وأوّله بسم الله الرحمن الرحيم».

وروى الشيخ الطوسي في الصحيح على الظاهر، عن محمد بن مسلم، أنّه قال: «سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن السبع المثاني والقرآن العظيم، أهي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت: بسم الله الرحمن الرحيم من السبع المثاني؟ قال: هي أفضلهنّ».

وعن الكافي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، أنّه قال: كتموا بسم الله الرحمن الرحيم، فنعم والله الأسماء كتموها، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا دخل منزله واجتمعت عليه قريش يجهر بسم الله الرحمن الرحيم ويرفع بها صوته فتولّي قريش فراراً، فأنزل الله في ذلك: (وَإذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ في القُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أدْبارِهِمْ نُفُوراً).

وروى الشيخ عن أبي حمزة، أنّه قال: قال علي بن الحسين (عليهما السلام): «يا ثمالي، إنّ الصلاة إذا أُقيمت جاء الشيطان إلى قرين الإمام، فيقول: هل ذكر ربّه؟ فإن قال نعم، ذهب، وإن قال لا، ركب على كتفيه،

فكان إمام القوم حتّى ينصرفوا. قال: فقلت: جعلت فداك، أليس يقرأون القرآن؟ قال: بلى، ليس حيث تذهب يا ثمالي، إنّما هو الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم».

وإنّما جعل البسملة في أوّل السورة لما روى الصدوق في العلل والكليني في الكافي بأسانيد معتبرة عن جماعة من أجلاّء أصحابنا عن الصادق (عليه السلام) في ذكر صلاة ليلة المعراج بطوله:

«ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ قال: يا محمد، استقبل الحجر الأسود وهو بحيالي، وكبّرني بعدد حجبي، فمن أجل ذلك صار التكبير سبعاً، لأنّ الحجب سبع، وافتتح القراءة عند انقطاع الحجب، فمن أجل ذلك صار الافتتاح سنّة، والحجب مطابقة ثلاثاً بعدد النور

<=

فمن الإيمان الكامل الجهر بمحبّته وولايته، وقد قال الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): «علائم المؤمن خمس: التختّم باليمين، وتعفير الجبين، وزيارة الأربعين، والصلاة إحدى وخمسين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم».

فكان التختّم باليمين في عصرهم من علائم التشيّع والإيمان الكامل، مخالفة لأصحاب معاوية وشيعته، الذين كان شعارهم التختّم باليسار إحياءً لقضية التحكيم في حرب صفّين، حيث خلع عمرو بن العاص حيلةً ومكراً أمير المؤمنين علياً (عليه السلام)، ثمّ أخرج خاتمه من يمينه وجعله في يساره، وقال: خلعت علياً ونصبت معاوية للخلافة، كجعل الخاتم من يميني بيساري.

فصار التختّم باليسار شعار الأمويين، كما صار التختّم باليمين شعار العلويين.

وقال الله سبحانه: **{قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى}**، والمودّة غير المحبّة، فإنّها المحبّة مع إظهارها وإعلانها والفداء دونها مالا ونفساً.

إلاّ أنّ المخالفين لعنهم الله، كما ورد في الخبر، سرقوا آية من كتاب الله أو أخفوها، فالمؤمن يجهر بالبسملة ونقطتها ويضحّي من أجل ولاية أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كميثم التمّار ورشيد الهجري وحجر وعمّار بن ياسر، واللعن الدائم

=>

الذي أُنزل على محمد (صلى الله عليه وآله) ثلاث مرّات، فلذلك كان الافتتاح ثلاث مرات، فلأجل ذلك كان التكبير سبعاً والافتتاح ثلاثاً. فلمّا فرغ من التكبير والافتتاح قال الله عزّ وجلّ: الآن وصلت إليّ، فسمّ باسمي، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرحمن الرحيم في أوّل السورة... إلى آخر الحديث».

وهو مشتمل على معان تكلّ العقول عن إدراكها إلاّ قليلا، ومنها نشير إلى نبذة تتعلّق بهذه السورة في خلال التفسير بما يخطر تصوّره بالبال، والله العالم بحقيقة الحال، فيذكر بعض المطالب العرفانية الرفيعة، فراجع.

على من حذف النقطة من تحت الباء.

ومهما أراد الأعداء أن يكتموا فضائله (عليه السلام)، فإنّه لا يزال يرنّ صوت محمد ابن إدريس إمام الشافعية في مقولته المشهورة: «عجبت لرجل كتم أعداؤه فضائله حسداً وكتمها محبّوه خوفاً، وخرج ما بين ذين ما طبّق الخافقين»[1].

وأنشدنا الشيخ أبو بكر بن فضل الله الحلبي الواعظ لبعضهم:

يا حبّذا دوحة في الخلد ثابتة	ما في الجنان لها شبه من الشجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة	ثمّ اللقاح علي سيد البشر
والهاشميان سبطاها لهاشم	والشيعة الورق الملتفّ بالثمر
هذا حديث رسول الله جاء به	أهل الرواية في العالي من الخبر
إنّي بحبّهم أرجو النجاة غداً	والفوز مع زمرة من أحسن الزمر[2]

وروى القندوزي من أبناء العامة، بإسناده، عن علي (عليه السلام)، قال: إنّي لنائم يوماً إذ دخل رسول الله فنظر إليّ وحرّكني برجله، وقال: قم يفدى بك أبي وأمّي، إنّ جبرئيل أتاني فقال لي: بشّر هذا بأنّ الله تعالى جعل الأئمة من صلبه، وأنّ الله تعالى يغفر له ولذريّته ولشيعته ولمحبّيه، وإنّ من طعن عليه وبخس حقّه فهو في النار[3].

وروى الخوارزمي، بإسناده، عن أنس، قال: قال رسول الله: خلق الله تعالى من نور وجه علي بن أبي طالب (عليه السلام) سبعين ألف ملك يستغفرون له ولمحبّيه

1- علي في الكتاب والسنّة 3: 26.

2- قادتنا كيف نعرفهم 2: 430، عن كفاية الطالب: 425.

3- المصدر.

يوم القيامة[1].

وروى السخاوي، بإسناده، أنّ رسول الله قال لعلي: أنت وشيعتك تردون عليّ الحوض رواءً مرويين مبيضّة وجوهكم، وإنّ عدوّكم يردون عليّ ضماءً مقمحين[2].

قال ابن حجر: أخرج مسلم، عن علي، قال: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأُمّي إليّ أنّه لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق. وقال: وأخرج الترمذي، عن أبي سعيد الخدري، قال: كنّا نعرف المنافقين ببغضهم علياً[3].

وروى، بإسناده، عن ابن عمر، قال: سألت النبي عن علي بن أبي طالب كرّم الله تعالى وجهه، فغضب فقال: ما بال أقوام يذكرون من له منزلة كمنزلتي، ألا مَن أحبّ علياً فقد أحبّني، ومن أحبّني رضي الله تعالى عنه، ومن رضي الله عنه كافاه بالجنّة. ألا من أحبّ علياً يقبل صلاته وصيامه وقيامه واستجاب الله له دعاه، ألا ومَن أحبّ علياً استغفر له الملائكة وفتحت له أبواب الجنان، فدخل من أي باب شاء بغير حساب، ألا ومَن

أحبّ علياً لا يخرج من الدنيا حتّى يشرب من الكوثر ويأكل من شجرة طوبى ويرى مكانه في الجنّة، ألا ومَن أحبّ علياً هوّن الله عليه تبارك وتعالى سكرات الموت وجعل قبره روضة من رياض الجنّة...

1- المصدر.
2- المصدر.
3- المصدر 1: 263.

وهناك المئات من الأحاديث الشريفة الواردة في حبّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في مصنّفات السنّة فضلا عن كتب الشيعة. فاعتبروا يا أُولي الأبصار، ولمثل هذا يضحّون أمثال ميثم التمّار وحجر بن عدي وشهداء الفضيلة على مرّ التأريخ، أرواحهم الزكية فداءً لمحبّة وعشق أمير المؤمنين أسد الله الغالب مولانا الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهنيئاً لهم الشهادة المباركة ورزقنا الله ذلك وحشرنا في زمرتهم، آمين يا ربّ العالمين.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لو أنّ عبداً عبد الله مثل ما قام نوح (عليه السلام) في قومه وكان له مثل جبل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ومدّ في عمره حتّى حجّ ألف حجّة على قدميه، ثمّ قتل مظلوماً، ثمّ لم يوالِكَ يا علي، لم يشمّ رائحة الجنّة[1].

وقال (صلى الله عليه وآله): حبّ علي (عليه السلام) يأكل السيّئات كما تأكل النار الحطب.

وروى أبو عبد الله الحسين بن جبير في كتاب نخب المناقب لآل أبي طالب حديثاً مسنداً إلى الرضا (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أحبّ أن يستمسك بالعروة الوثقى فليتمسّك بحبّ علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وروى الصدوق، بإسناده، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر، عن أبيه علي، عن أبيه الحسين (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): حبّي وحبّ علي بن أبي طالب وحبّ أهل بيتي نافع في ستّة مواطن أهوالهنّ عظيمة: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النشور، وعند الكتاب، وعند الميزان، وعند الصراط[2].

1- بحر المعارف: 299.
2- المصدر: 398.

الثاني والعشرون : .

جاء في بحر المعارف، حينما يتحدّث المصنّف عن فضائل أمير المؤمنين وسيّد الموحّدين ويعسوب الدين وقائد الغرّ المحجّلين مولانا أسد الله الغالب والشهاب الثاقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال ما هذا لفظه: «وما علمنا من سرّ عظمته إلاّ نقطة هي الباب الدالّ على الجناب، وليس بينهما وبين الله من حجاب، فهي السرّ والحجاب، فعليّ صفة الله وقدرة الله وكلمة الله واسم الله العظيم، وإنّ ثقل قدرة الله وتحمّلها وتحمّل ثقل السماوات صحفاً والجنّ والإنس كتّاباً لنفذ المداد، والأرضين السبع وجبرئيل وغيره قد خلقوا من شعاع نور محمد

وعلي، وهما خلقا من نور ذي الجلال. ولهذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لو كانت البحار مداداً والغياض أقلاماً والسماوات صحفاً والجنّ والإنس كتّاباً لنفد المداد وكلّت الثقلان أن يكتبوا معشار عشر فضائل عليّ. ويشهد للنبيّ كتاب الربّ العليّ، قال: **{لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مِداداً}**، وقد تقدّمت الأخبار أنّ أكبر كلمات الله وأعظمها علي (عليه السلام)، وأنّه آية الله العظمى، فله الفضائل والمناقب التي لا تحصى، فكيف يعرفه البرايا، وقد قال النبيّ (صلى الله عليه وآله): «يا علي، ما عرفك إلاّ الله وأنا، وما عرفني إلاّ الله وأنت، وما عرف الله إلاّ أنا وأنت»، فكيف يكون مثل الناس وهم يدّعون معرفته، وقد روي عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام): «مَن عرف نفسه فقد عرف ربّه»، ومعرفة النفس هو أن يعرف الإنسان مبدأه ومنتهاه، من أين وفي أين وإلى أين؟ وذلك موقوف على معرفة الحقيقة التي هي الوجود المقيّد، وهو معرفة الفيض الأوّل الذي فاض عن حضرة ذي الجلال، ثمّ فاض عنه الوجود بأمر واجب الوجود وفيض الجود، وذلك هو النقطة الواحدة التي هي مبدأ الكائنات ونهاية الموجودات وروح الأرواح ونور الأشباح، وهو أوّل العدد وسرّ الواحد الأحد، وذلك لأنّ ذات الله غير معلومة للبشر،

فمعرفته بصفاته، والنقطة هي صفة الله، والصفة تدلّ على الموصوف، لأنّ بظهورها عرف الله، وهي لألاء النور الذي شعشع عن جلال الأحدية في سماء الحضرة المحمدية، وإليه الإشارة بقوله: «لولانا ما عرف الله، ولولا الله ما عرفنا»، فهو النور الذي أشرقت منه الأنوار، والواحد الذي ظهرت عنه الأحاد، والسرّ الذي نشأت عنه الأسرار، والعقل الذي فاضت منه العقول، والنفس الذي صدرت عنه النفوس، واللوح الحاوي لأسرار الغيوب، والكرسي الذي وسع السماوات والأرض، والعرش العظيم المحيط لكلّ شيء عظمة وعلماً، والعين التي ظهر عنها كلّ عين، والحقيقة التي يشهد لها بالبدء كلّ موجود، كما شهدت هي بالأحدية لواجب الوجود، فتاه عرفان العارفين عن الوصول إلى محمد وعلي (عليهما السلام) بحقيقة معرفتهم، أو بمعرفة حقيقتهم، لكنّ ذلك الباب مستور بحجاب، وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلا، وإليه الإشارة بقولهم (عليهم السلام): «إنّ الذي خرج إلى الملائكة المقرّبين من معرفة آل محمد (صلى الله عليه وآله) قليل من الكثير»، فكيف إلى عالم البشرية. ومن هذا المقام عنوا بقولهم في أخبار متواترة متقدّمة: «إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ نبيّ مرسل أو مَلَك مقرّب أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»، فمن اتّصل بشعاع نورهم فقد عرف نفسه، لأنّه قد عرف عين الوجود وحقيقة الموجود وفردانية ربّ المعبود، فمعرفة النفس هي حقيقة الوجود المقيّد، وهي النقطة الواحدة، التي ظاهرها النبوّة وباطنها الولاية، فمن عرف النبوّة والولاية بحقيقة معرفتهما، فقد عرف ربّه، فمن عرف محمداً وعلياً (عليهما السلام) فقد عرف ربّه...»[1].

«وروى ابن عبّاس، عن علي (عليه السلام)، أنّه شرح له في ليلة واحدة من حين

1- بحر المعارف: 423.

أقبل ظلامها إلى حين أسفر صباحها وأُطفي مصباحها في شرح الباء من (بسم الله) ولم يتعدّ إلى السين، وقال: لو شئت لأوقرت أربعين وقراً من شرح بسم الله». وفي بعض النسخ بعيراً بدل وقراً.

بيان عرشي:

لا يذهب عليك أنّ فهم هذا الحديث «وأنا النقطة تحت الباء»، لا بدّ من توضيح وبيان، وكذا قول أهل المعرفة: بالباء ظهر الوجود، وبالنقطة تمّ تميّز العابد عن المعبود، وذلك إشارة إلى تنزّل الحقّ وظهوره بصورة الخلق كتنزّل الألف وظهوره بصورة الحروف، لأنّ تعيّن الحقّ المطلق الذي هو المعبود بصورة الخلق المقيّد الذي هو العابد، ليس إلاّ بسبب النقطة التعيّنية الوجودية الإضافية المسمّاة بالإمكان والحدوث، التي تحت الوجود البائن الأوّلي الإمكاني المسمّى بالعقل الأوّل تارة وبالروح الأعظم أُخرى، المتميز بها العابد الذي هو العبد عن المعبود الذي هو الربّ، وكذلك الحروف لأنّ تعيّن الألف المجرّد الذي هو بمثابة الذات بصورة الباء المقيّد، ليس إلاّ بسبب النقطة التعينية البائية تحت الباء، المتميّز بها الباء عن الألف، لأنّ الألف إذا نزل من حضرة إطلاقه إلى حضرة تقيّده في صورة البائية، التي هي أوّل مراتبه في عالم الكثرة، لم يكن تميّزه عنه إلاّ بالنقطة البائية المتميّز بها عن غيره من الحروف، وكذلك الحقّ تعالى، فإنّه إذا نزل من حضرة ذاته ومقام إطلاقه وصورة أحديّته إلى صورة تقيّده وتعيّنه المعبّر عنه بصورة الإمكان في حضرة واحديّته، لا يكون تميّز تلك الصورة المقيّدة عنه إلاّ بالنقطة القيدية الإمكانية الواقعة تحت تعيّنه، المتميّز بها عن غيره من الموجودات، وأوّل تلك الصورة المقيّدة تارة تسمّى بالعقل، وتارة بالروح، وتارة بالنور، إلى آخر الموجودات، كما يسمّى أوّل الصورة المقيدة الحروفية تارة بالباء وتارة بالجيم وتارة بالدال إلى آخر الحروف، ولعظمة الصورة المقيدة

الأُولى التي هي بإزاء الباء من الحروف، ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله): «ظهر الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم»، وبسبب أنّ تقييدها وتمييزها كان بالنقطة البائية التميّزية، أعني الإمكانية الحدوثية، ورد عن علي (عليه السلام): «أنا النقطة تحت الباء»، ورد عن الكملّ: «بالباء ظهر الوجود، وبالنقطة تميّز العابد عن المعبود»، فلا سرّ أعظم من الباء، والنقطة بعد الألف أعني العقل الأوّل، وحقيقة الإنسان المعبّر عنهما بالباء، والنقطة بعد الذات الأحدية المعبّر عنها بالألف، ومن هنا قال علي (عليه السلام): «العلم نقطة كثّرها الجاهلون»، وكيفية الاطلاع من وجهين:

إمّا أن يكون من الوحدة إلى الكثرة، ومن المبدأ إلى المنتهى، الذي هو طريق النزول والظهور. وإمّا أن يكون من الكثرة إلى الوحدة، ومن المنتهى إلى المبدأ، الذي هو طريق الصعود والبطون، فإن كان الأوّل فهو أعظم فيجتهد في الاطلاع على النقطة أوّلا، ثمّ على ما صدر منها من النفس والهيولى والطبيعة والجسم الكلّي والأفلاك والعناصر والمواليد. وإن كان الثاني، وهو أظهر وأمتن، فيجتهد في الاطلاع على هذه الموجودات بعكس ذلك، وذلك لأنّ كلّ من اطلّع على النقطة الوجودية والذي تحتها، كمن اطلّع على الوجود كلّه، وعلى ما في ضمنه من الأسرار والحقائق، ولاطّلاع نبيّنا على الكتب السماوية وما في ضمنها من الأسرار والحقائق، ولاطّلاع نبيّنا (صلى الله عليه وآله) على النقطة الوجودية ليلة المعراج، قال: «علمت علوم الأوّلين والآخرين»، وقال: «اللّهم أرنا الأشياء كما هي»، ولاطّلاع علي (عليه السلام) عليها قال: «أنا النقطة تحت الباء»، وقال: «سلوني عمّا تحت العرش»، وهذه النقطة هي الموسومة عند القوم بعبادان، في قولهم: «ليس وراء عبادان قرية»، وهي التي عليها مدار الوجود، كالنقطة المركزية

التي إليها ينتهي خطوط الدائرة المحيطة بها، وذلك لأنّ الوجود بالاتفاق دوريّ لتقابل النقطتين المتقابلتين، اللتين هما نقطة المبدئية والنقطة المنتهائية {كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}، والأوّل والآخر والظاهر والباطن، أسمائه بهذين الاعتبارين، والأزل والأبد إشارة إليهما، {قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى} كذلك، لأنّ القوس إشارة إلى قطع الدائرة الوجودية بالخطّ الوهميّ بينهما، الفاصل بين المطلق والمقيّد والإمكان والوجوب في صورة الدائرة، والخطّ الوهمي باصطلاحهم، هو مقام القرب الأسمائي، باعتبار التقابل بين الأسماء في الأمر الإلهي، المسمّى بدائرة الوجودية، كالإبداء والإعادة، والنزول والعروج، والفاعلية والقابلية.

وهذه النقطة قد يعبّر عنها بنقطة النبوّة ونقطة الولاية اللتين هما مخصوصتان من حيث الاطلاق بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام)، لأنّ النبوّة المطلقة والولاية المطلقة مخصوصتان بهما، لقول النبي (صلى الله عليه وآله): «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»، وقول علي (عليه السلام): «كنت ولياً وآدم بين الماء والطين»[1].

الثالث والعشرون : .

ومن المعاني اللطيفة في نقطة الباء ما جاء بيانه عند السيد الإمام الخميني (قدس سره) في كتابه القيّم (الآداب المعنوية للصلاة)، فقال في الفصل الرابع في بعض آداب التسمية: روي في التوحيد عن الرضا (عليه السلام)حين سئل عن تفسير البسملة: «معنى قول القائل بسم الله، أي أسم على نفسي سمة من سمات الله وهي العبادة، قال الراوي: فقلت: ما السمة؟ قال: العلامة».

إعلم، جعلنا الله وإيّاك من المتّسمين بسمات الله، أنّ الدخول في منزل التسمية لا يتيسّر للسالك إلاّ بعد الدخول في منزل الاستعاذة واستيفاء حظوظ

1- بحر المعارف: 457.

ذاك المنزل. ثمّ يشرح هذا المعنى وكيف يتّسم السالك بالعبودية. ثمّ في الفصل الخامس يذكر بياناً إجمالياً من تفسير سورة الحمد المباركة، ونبذة من آداب التحميد والقراءة، فيشرح معنى الباء وبأيّ شيء تعلّقه، هل للاستعانة أو الظهور وغير ذلك، ثمّ يقول: وأمّا أسرار الباء ونقطة الباء التي باطنها مقام الولاية العلوية ومقام جمع الجمع القرآني فيستلزم مجالا أوسع[1].

ثمّ يقول: إلهام عرشي: اعلم أنّ في باب العرش وحملته اختلافات، وفي ظواهر الأخبار الشريفة أيضاً اختلافاً، وإن كان الاختلاف منفياً على حسب الباطن، فإنّ العرش في النظر العرفاني والطريق البرهاني يطلق على معان كثيرة، وأحد تلك المعاني ولم أره في لسان القوم هو الحضرة الواحدية التي هي مستوى الفيض الأقدس، وحملته أربعة من اُمّهات الأسماء وهي: الأوّل والآخر والظاهر والباطن، والمعنى الآخر وما رأيته أيضاً في لسان القوم، الفيض المقدّس الذي هو مستوى الأسم الأعظم وحامله: الرحمن والرحيم والربّ والمالك، ومن إطلاقاته جميع ما سوى الله وحامله أربعة من الملائكة: إسرائيل وجبرائيل وميكائيل وعزرائيل، والمعنى الآخر هو جسم الكلّ وحامله أربعة أملاك وهي صور أرباب الأنواع وقد اُشير إليه في رواية الكافي، وربّما اُطلق على العلم، ولعلّ المراد من العلم، العلم الفعلي للحقّ الذي هو عبارة عن مقام الولاية الكبرى وحملته أربعة من الأولياء الكمّل في الأمم السابقة وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى على نبيّنا وآله وعليهم السلام، وأربعة من

الكمّل في هذه الأُمّة: الرسول الخاتم وأمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام)، فإذا علمت هذه المقدمة، فاعلم:

1- الآداب المعنوية للصلاة: 398، الطبعة الأولى.

إنّه في السورة الشريفة الحمد بعد اسم الله الذي هو إشارة إلى الذات اختصّت بالذكر، هذه الأسماء الشريفة الأربعة وهي: الربّ والرحمن والرحيم والمالك، ويمكن أن يكون هذا الاختصاص لأنّ هذه الأسماء الشريفة الأربعة حملة عرش الوحدانية على حسب الباطن، ومظاهرها الملائكة الأربعة المقرّبون للحقّ تعالى حملة عرش التحقّق، فالإسم المبارك (الربّ) باطن ميكائيل وهو بمظهريته للرب موكل بالأرزاق ومربّي دار الوجود، والإسم الشريف (الرحمن) باطن إسرافيل منشىء الأرواح والنافخ في الصور وباسط الأرواح والصور، كما أنّ بسط الوجود أيضاً باسم الرحمن، والإسم الشريف (الرحيم) هو باطن جبرائيل الموكل على تعليم الموجودات وتكميلها، والإسم الشريف (المالك) هو باطن عزرائيل الموكل بقبض الأرواح والصور وإرجاع الظاهر إلى الباطن، فالسورة الشريفة إلى مالك يوم الدين، مشتملة على عرش الوحدانية وعرش التحقّق ومشيرة إلى حوامله، فجميع دائرة الوجود وتجلّيات الغيب والشهود التي ترجمانها القرآن، مذكورة إلى هذا الموضع من السورة، وهذا المعنى موجود جمعاً في بسم الله الذي هو الاسم الأعظم، وفي الباء التي هي مقام السببية، وفي النقطة التي هي سرّ السببية، وعلي (عليه السلام) هو سرّ الولاية، والله أعلم[(1)].

عزيزي القارىء:

هذا غيض من فيض، وقطرات من بحار فضائل أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ونبذة يسيرة في شرح نقطة باء البسملة.

ولا تنكر ما لا تستوعبه، فإنّ فوق كلّ ذي علم عليم، وقد علّمنا الحكماء

1- الآداب المعنوية للصلاة: 428.

في مقولتهم الخالدة: «كلّ ما يقرع سمعك فذره في بقعة الإمكان حتّى تجد له دليلا».

نحن أبناء الدليل   أينما مال نميل

فالحذار الحذار من المكابرة والإنكار، حينما لم نهضم ولا ندرك ولا نفهم ولا نستوعب ما جاء في بطون الكتب ومتون الأسفار.

وربّ معلومات شامخة تتوقّف على علوم أُخرى، وربّ معارف سامية لا يدركها إلاّ من حاز مرتبة البلوغ، وإنّ الطفل هيهات أن يدرك لذّة الجماع ما لم يصل إلى حدّ البلوغ، فلا تعادي ما لا تعلمه، ولا تنكر ما كنت جاهله، بل اغدو عالماً ربانياً، أو متعلّماً على سبيل النجاة، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

البسملة في عالم الفنّ

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) من أجود كتابك»

نماذج من أجود الخطوط وأجمل التشكيلات

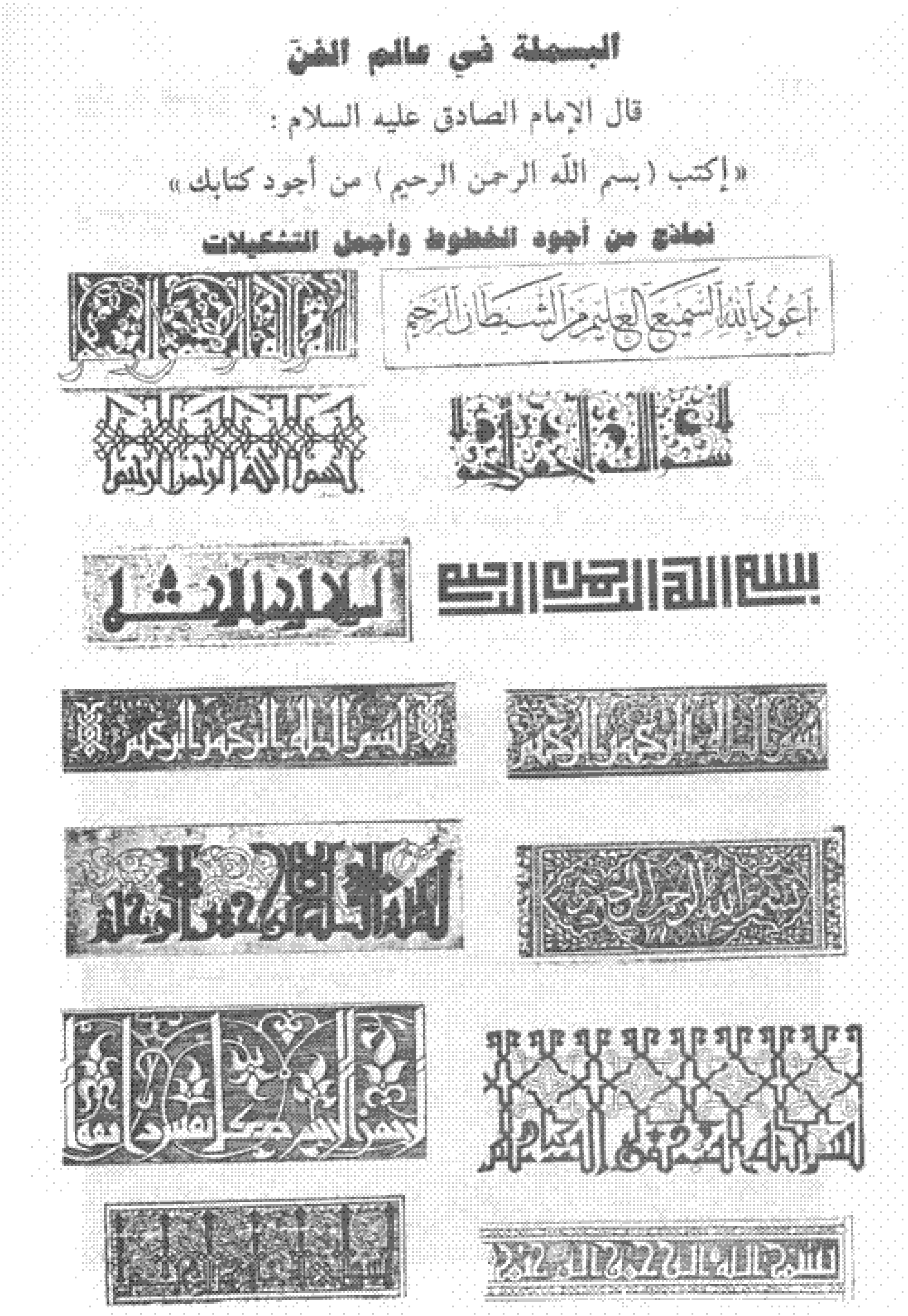

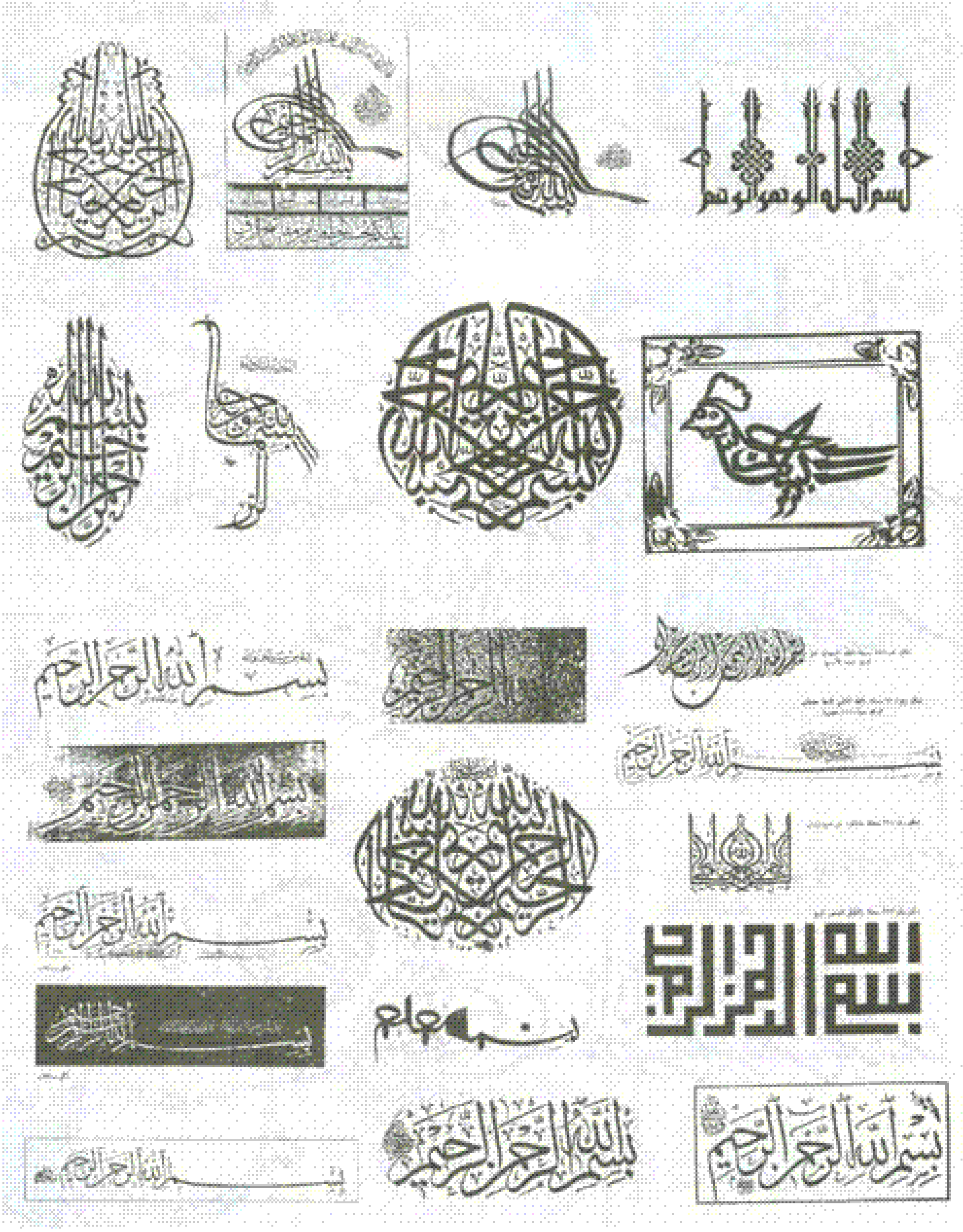

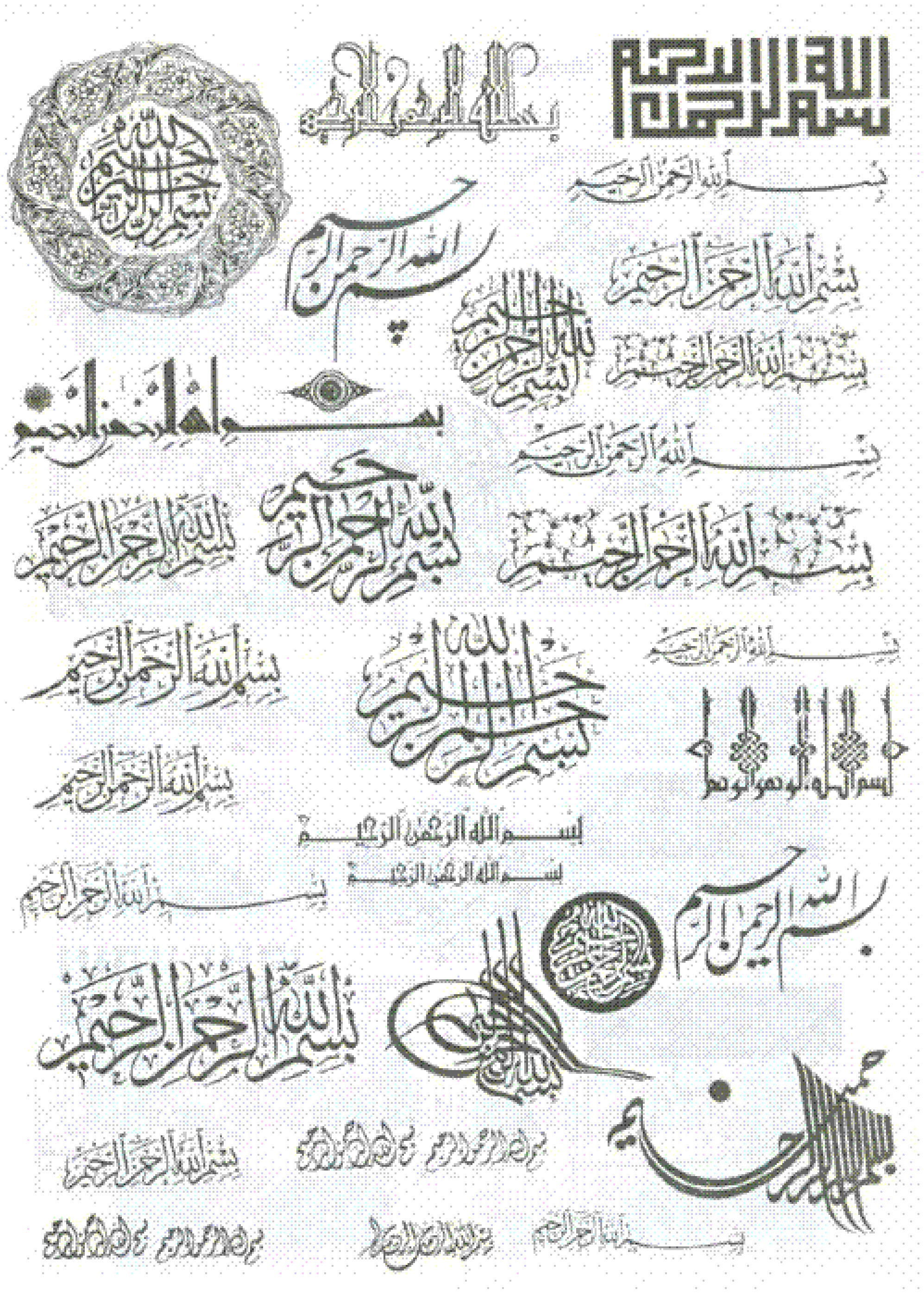

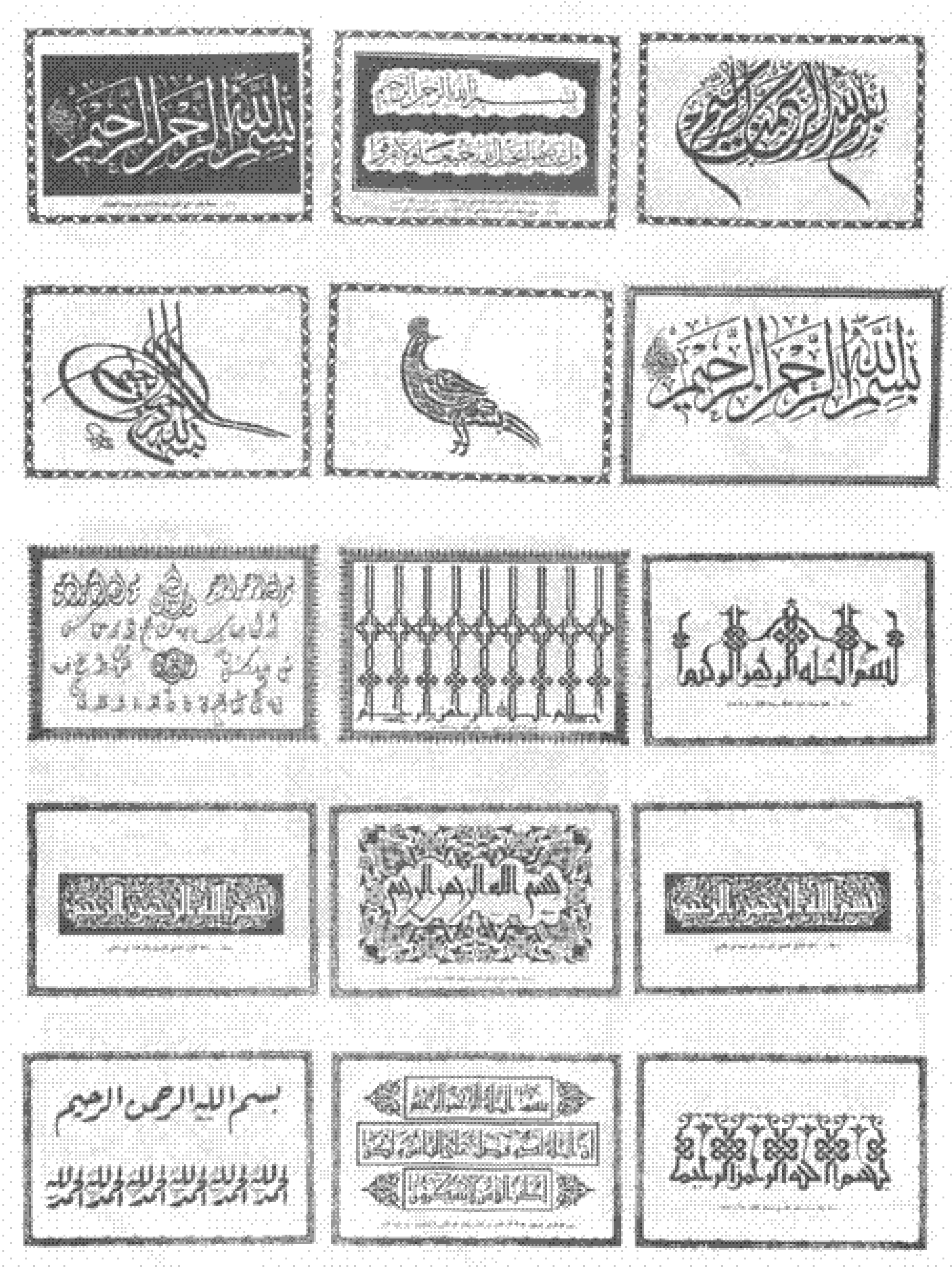
بسم الله الرحمن الرحيم

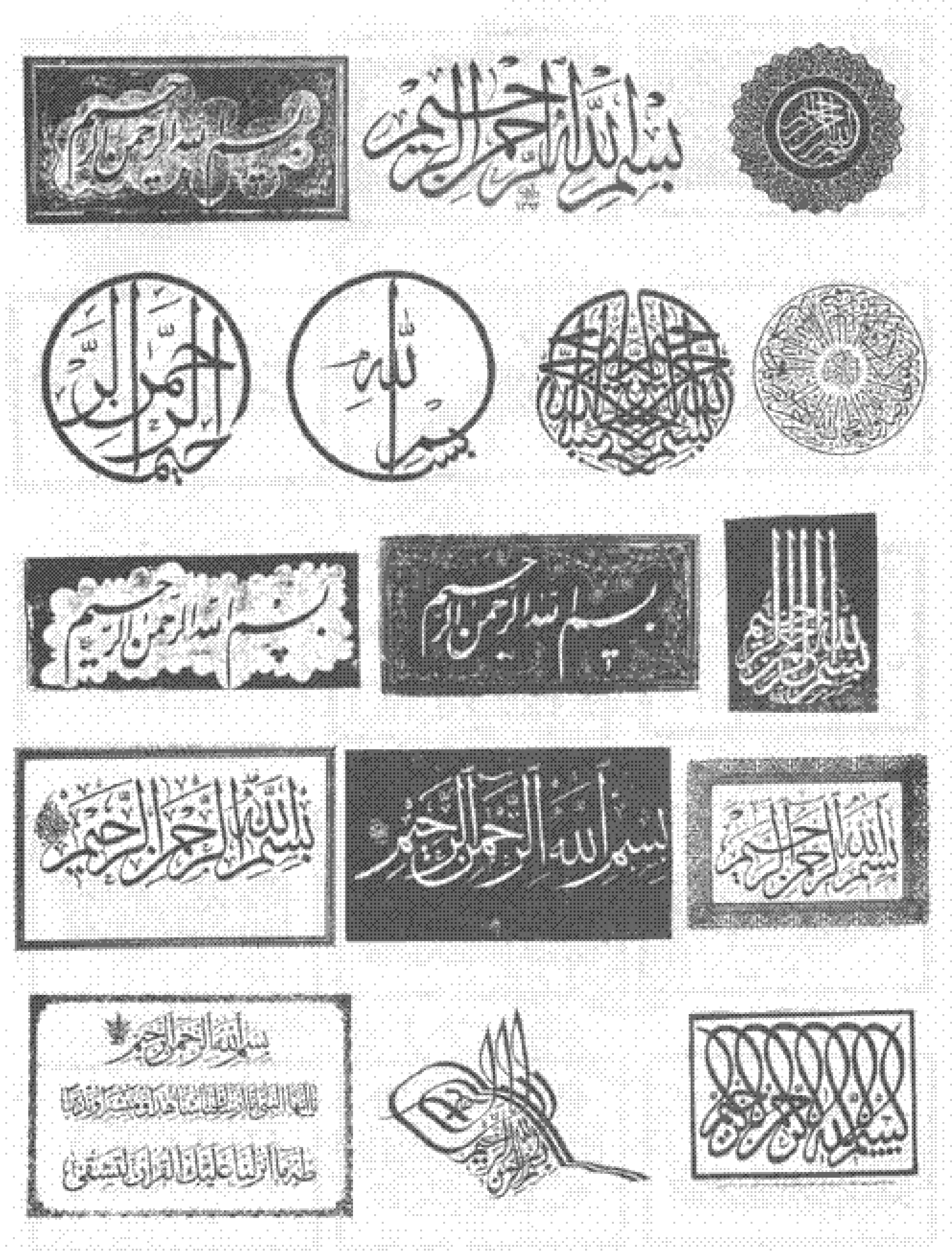

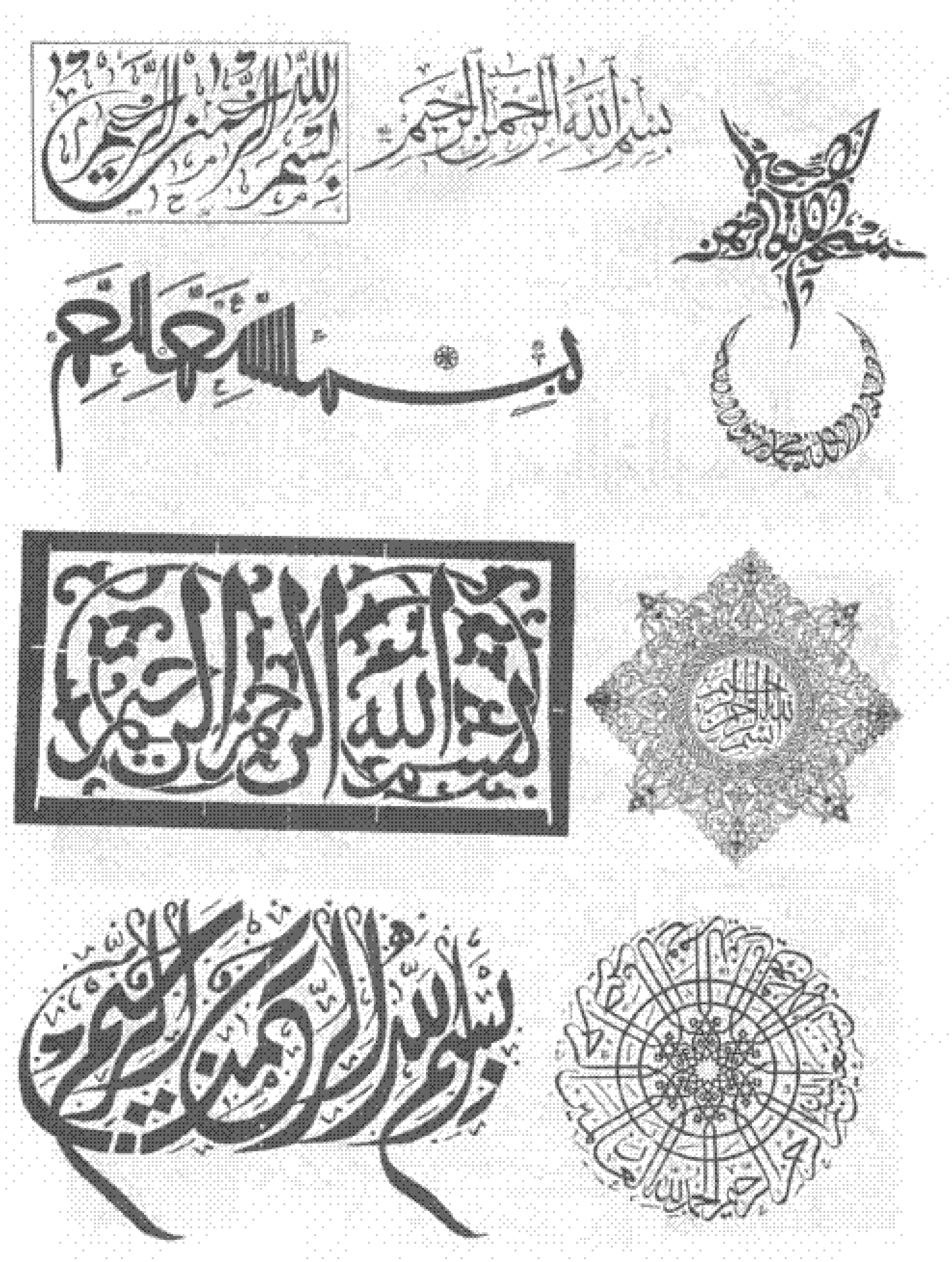
بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين إياك نعبد
وإياك نستعين اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين

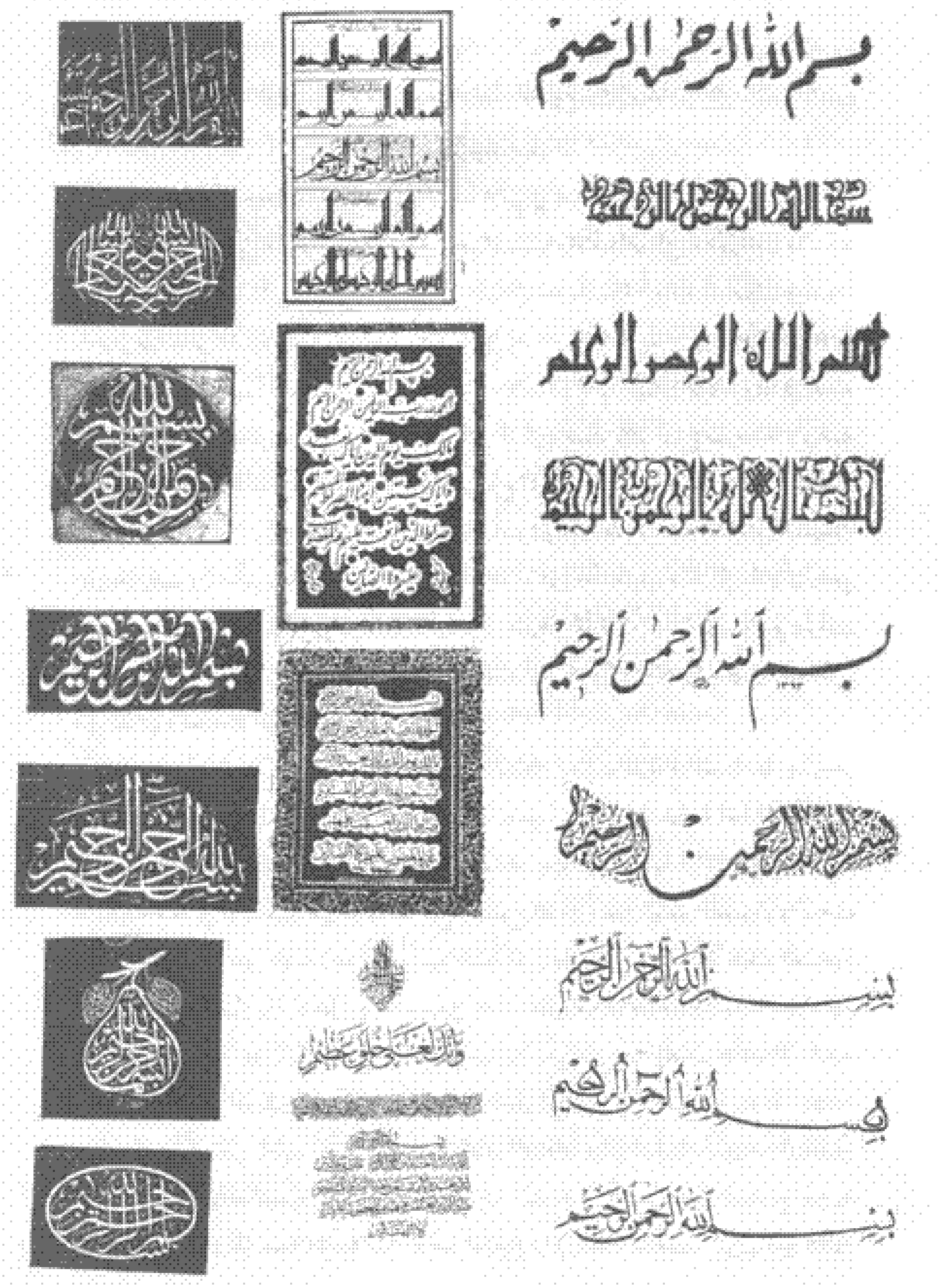

المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

خطوة إسلامية مباركة

في خضمّ الصراعات المتعدّدة الذي تعيشه الأُمم في ماضيها وحاضرها، يبرز الصراع الثقافي كمحور أساسي لها، وكمحرّك مهم في دعم القضايا والأهداف التي تدور حولها تلك الصراعات... ولأهمّية الموضوع وحساسيّته، فقد اهتمّ الإسلام بالمسألة الثقافية، وحظيت برعايته، باعتبارها أساس عملية التغيير الشامل، ولأنّ طريق إصلاح الأُمّة لا بدّ أن يمرّ عبر نشر الثقافة الصحيحة... ولقد لعبت الثقافة الإسلامية في صدر الإسلام الدور البارز والمعروف في صنع الإنسان الجديد... فعاش المجتمع يومذاك ببركة النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله)أروع مرحلة تأريخية تفجّرت خلالها الطاقات البشرية الكامنة وشاعت روح الأُخوّة والإيمان... وعندما

ابتعد المسلمون عن دينهم وصدّ الكثير عن تعاليم نبيّهم ذاقوا وبال أمرهم بتسلّط الأعداء عليهم والسيطرة على مقدّراتهم والتحكّم برقابهم ونهب ثرواتهم والاعتداء على مقدّساتهم، وكاد الإسلام أن يضيع وتمحى معالمه لولا تصدّي أئمة الهدى (عليهم السلام)، يلتفّ حولهم الأولياء الصالحون وهم يردّون الهجمة تلو الأُخرى... متحمّلين للمصاعب والمشقّات والتشريد والإرهاب والسجن، يحافظون على القرآن وتعاليمه الأصيلة.

وبعدما تفجّرت الثورة الإسلامية في إيران بقيادة العلماء العظام، تساندها الجماهير المؤمنة الملتفّة حول علمائها، وجد في الساحة العالمية عموماً والإسلامية خاصة انعطافة تأريخية لم تمرّ البشرية بنظير لها ولم تشهد مثل أيامها... هذه الصحوة الإسلامية كانت بمكان بحيث لا يمكن تغافله في كلّ مكان من العالم، ممّا دفع الجموع الغفيرة من البشر للسؤال والبحث حول الإسلام من أجل تفهّمه ومعرفة جوانبه المتعدّدة... وقد لوحظت آثار هذه الصحوة الإسلامية على الرجل والمرأة على حدّ سواء وفي مختلف الطبقات الاجتماعية ومختلف طوائفهم ومذاهبهم، فأوجب على العلماء الكرام مضاعفة الجهد والسعي من أجل إيصال ثقافتنا الإسلامية ونشر تعاليم الدين الحنيف إلى كلّ المتعطّشين، وبالفعل كانت هناك جهود مباركة متعدّدة تصدّى لإقامتها بعض العلماء الأفاضل تضمّنت إنشاء المجمّعات والمؤسّسات الخيرية والثقافية، فكان من بينهم سماحة السيد العلوي دام عزّه، له اليد المباركة في تأسيس بعض المشاريع الخيرية ورعايتها، ومنها (المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد)، حيث نرى من اللازم

تعريف القارىء الكريم بهذه المؤسسة المباركة التي لا تزال . بعون الله ولطفه . تواصل السير في أداء رسالتها الثقافية ومسؤوليتها في تبليغ الإسلام وإرشاد الناس في عصر الصحوة الإسلامية.

أُنشئت المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد في قم المقدسة في ذكرى ميلاد صاحب الأمر (عليه السلام) المصادف 15 شعبان سنة 1410 هجرية.

من أهدافها الرئيسية: بناء طلبة واعين ومبلّغين رساليين ونشر الإسلام الأصيل ومذهب أهل البيت (عليهم السلام) في كافة أرجاء المعمورة عن طريق طبع ونشر آلاف الكتب العقائدية والثقافية الإسلامية باللغات المختلفة وإرسالها إلى كلّ من يراسلها من جميع الأقطار والأمصار مجّاناً.

ومن هذا المنطلق قامت المؤسسة خلال (6) سنوات بالنشاطات التالية:

1 . طبعت ونشرت (18) كتاباً إسلامياً دينياً.

2 . أجابت على (3000) رسالة، وأرسلت آلاف الكتب بلغات مختلفة لمراسليها في أكثر من (45) دولة.

3 . فيها (جمعية السؤال والجواب)، وقد أُسّست سنة 1398 هـ.

4 . تأسيس (جماعة العلماء والخطباء في الكاظمية المقدّسة وبغداد).

5 . تأسيس (مستوصف الإمام السجّاد الخيري) في قم المقدّسة.

6 . إصدار صحيفة (صوت الكاظمين) الثقافية الشهرية، صدر منها (38) عدد.

7 . إصدار مجلة (عشّاق أهل بيت (عليهم السلام))، فصلية باللغة الهندية (أُردو)، صدر منها (4) أعداد.

8 . إصدار مجلة (الكوثر) باللغتين عربي إنكليزي نصف سنوية ثقافية، صدر منها (3) أعداد.

9 . نشر ثلاث لوحات إسلامية وإرسالها إلى مراسليها في كلّ العالم (لوحة: من جرائم الوهابية، بأربع لغات عربي فارسي هندي إنكليزي)، (لوحة: رسالة صاحب الزمان إلى شيعته)، (لوحة: شجرة الحجّ).

وأخيراً وليس بآخر، لا يسعها إلاّ تثمين الفضل لعامة الذوات الطيّبة الخيرية . بمادتها ومعنوياتها . تجاه مشاريع المؤسسة، التي تنبع من الواقع الإسلامي وتصبّ فيه، فنشكر مَن يساهم في دعم المؤسسة، وجزاه الله خيراً، ونسأله التوفيق والسداد والإخلاص، ودمتم بخير.

«الناشر»

صدر للمؤلّف

1 . الحق والحقيقة بين الجبر والتفويض.

2 . احكام دين اسلام.

3 . الكوكب الدرّي في حياة السيّد العلوي (قدس سره).

4 . لمحة من حياة الإمام القائد.

5 . راهنماى قدم بقدم حجاج.

6 . السعيد والسعادة بين القدماء والمتأخرين.

7 . عقائد المؤمنين.

8 . تحفة الزائرين.

9 . قبسات من حياة سيدنا الأُستاذ.

10 . دليل السائحين إلى سورية ودمشق.

11 . لمحة من حياة أعلام الأُمة الإسلامية في دمشق.

12 . المعالم الأثرية في الرحلة الشامية.

13 . التوبة والتائبون على ضوء القرآن والسنة.

14 . تحفه فدوى يا نيايش مؤمنان.

15 . القصاص على ضوء القرآن والسنّة.

16 . فقهاء الكاظمية المقدسة.

17 . دروس اليقين في معرفة أُصول الدين.

18 . التقية بين الأعلام.

19 . علي المرتضى نقطة باء البسملة.

20 . رسالة في العشق.

21 . امام و قيام.

22 . وميض من قبسات الحق.

23 . في رحاب الحسينيات . القسم الأوّل ..

24 . بيان المحذوف في تتمة كتاب الأمر بالمعروف.

25 . في رحاب علم الرجال.

26 . المؤمن مرآة المؤمن.

27 . القول المحمود في القانون والحدود.

28 . بهجة المؤمنين (في زيارات الشام).
29 . مقام الأُنس بالله.
30 . الروضة البهية في شؤون حوزة قم العلمية.
31 . السيرة النبوية في السطور العلوية.
32 . سرّ الخليقة وفلسفة الحياة.
33 . حول دائرة المعارف والموسوعة الفقهية.
34 . رسالتنا.
35 . بيوتات الكاظمية.
36 . على أبواب شهر رمضان المبارك.
37 . التقية في رحاب العلمين الشيخ الأنصاري والإمام الخميني.
38 . (فاسألوا أهل الذكر) السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة.
39 . الأنوار القدسية نبذة من سيرة المعصومين (عليهم السلام).
40 . كلمة التقوى في القرآن الكريم.
41 . مواعظ ونصائح.
42 . دور الأخلاق المحمدية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية.
43 . سهام في نحر الوهابية.
44 . الحبّ في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام).
45 . لماذا الشهور القمرية.
46 . طلوع البدرين في ترجمة العَلَمين.
47 . النبوغ وسرّ النجاح في الحياة.
48 . حبّ الله نماذج وصور.
49 . الإخلاص في الحجّ.
50 . حقيقة القلوب في القرآن الكريم.
51 . أهل البيت سفينة النجاة.

52 . في رحاب الحسينيات . القسم الثاني ..
53 . جلوة من ولاية أهل البيت.
54 . فاطمة الزهراء ليلة القدر.
55 . الشاكري كما عرفته.